العدد ٨٤٥ — الاثنين ١٢ سبتمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

صفحة

رحم الله صديقي المازني ! ... ... : أحمد حسن الزيات ١٣٣٣
الظمآن ... ! ... ... : الأستاذ راعي الراعي ١٣٣٤
في الأدب المهجري ... ... : الأستاذ حبيب مسعود ١٣٣٥
فكرة الله عند المعتزلة ... ... : الدكتور ألبير نصري نادر ... ١٣٤٠
أبو دلامة ! ... ... : الأستاذ صبحي ابراهيم الصالح ١٣٤٢
فلسفة الشعب ... ... : الأستاذ عبد المنعم الليجي ... ١٣٤٦
دخان ولهب ... ... (قصيدة) : الأستاذ ابراهيم الوائلي ١٣٤٨
غب النوى ... ... » : الآنسة الفاضلة (الطوبة) ... ١٣٤٩
« تعقيبات » : « تحت المبضع » للأديب السوري محمد روحي فيصل — ١٣٥٠
مصرع الكاتبة الأمريكية مرجريت ميتشل — بعض الرسائل من حقيبة البريد ١٣٥٣
« الأدب والفن في أسبوع » : سلامة موسى يعارض التعليم الحديث ١٣٥٤
— العصر الإقناعي — كشكول الأسبوع — الموضوع في فوتنا ... ١٣٥٦
« البريد الأدبي » : بين الأدب والوطنية والأخلاق — حول ١٣٥٧
(أبو شادي العجب !) — وسائل ليست من لحن القول — ذهب توا —
حول « ترجمة الجامعة العربية » ١٣٦٠
« الكتب » : صور من الريف — تأليف الأستاذ محمد زكي عبد القادر: ١٣٦٠
بقلم الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر ١٣٦١

٣٣٠٢١

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

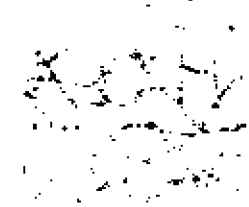

17 eme Année No. 845

Lundi — 12 — 9 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مصر

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨٤٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

رحم الله صديقى المازنى !

لقد كان رَجُلٌ وَحْدَه فى طراز عيشه ونظام عمله ونمط تفكيره وأسلوب كلامه . والتفرد فى الحياة والعمل والفكر والعبارة معناه فى دنيا الأدب الشخصية الممتازة التى لا يغنى عن وجودها وجود ، ولا يجزى من جهدها جهود ، ولا يسهل من فقدها عِوض . فإذا أضيف إلى ذلك أن المازنى كان أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لفهم من علم ، ويفهمون أدبها من فقه ، ويعالجون بيانها من طبع ؛ وأن هؤلاء العشرة البررة متى خلّت أمكنتهم فى الأجل القريب أو البعيد ، فلن يخلفهم فى هذا الزمن الثائر الحائر العجلان من يحمل عنهم أمانة البيان ويبلغ بعدهم رسالة الأدب ، أدركنا فداحة الخطب الذى نزل بالأمة العربية يوم توفى هذا الكاتب العظيم .

عرفت المرحوم المازنى فى خريف سنة ١٩١٤ يوم دخلنا المدرسة الأهلية الثانوية معلمين ، وكان يومئذ فى مرح شبابه وميعة نشاطه يتوسط باحة الأدب ويطرق باب الشهرة ويحاول هو وصاحباه العقاد وشكرى أن يشقوا طريقهم إلى المجد فى أرض غليظة صلدة يقوم فى بدايتها عقبتان : صاحب (الشوقيات) بشعره الرائع ، وصاحب (النظرات) بنثره البليغ . ولكنهم كانوا أصحاب عمل ومصابرين : يهدمون بالنقد والنقض والتجريح ، ويبنون بالتجويد والتجديد والدرس ؛ فلم يغلوا بمثل ضعفاء الملكة اليوم ، يخفضون مستوى البلاغة ليسعد القمىّ ، ويقربون غاية الفن ليلحق البطىء ! !

وكان المازنى على هذه الثورة وهذا الطموح خافض الجناح لأنه قوى النفس ، راكد السطح لأنه عميق الغور ، فما كنت تراه يوماً ذاهباً بنفسه ولا متبجحاً ببطه ولا مباهياً بعمله . ثم كان على ضآلة جسمه ووهن عظمه صهيب الجانب ذكاء قلبه ورجاحة عقله ، فلا يعبث فى درسه تلميذ ولا يجرؤ على كرامته معلم . ثم توثقت بينى وبينه أسباب المودة ، فزاملته فى التعليم ، وصادقته فى الأدب ، وعاملته فى الصحافة ، فلم أجرب عليه شهد الله لؤماً فى زمالة ، ولا غشاً فى صداقة ، ولا سوءاً فى معاملة .

كان أدب المازنى أداة عيشه ووسيلة رزقه . لذلك كان يكره أن يعرضه لكيد الخصومة وعنت النقد . وكان سبيله إلى هذا أن يغضّ هو من قدر فنه ، وأن يقلل من قيمة نتاجه ، حتى يفوّت بذلك على خصمه لذة التجنى عليه فلا يجد ما يقوله إذا أراد أن ينتقصه بنقده أو حقده . وتستيرك لشائك فيه معنى التواضع ، ولكن تصغير غيرك لك فيه معنى الضّعة . على أنه كان إذا أكره على الخصومة شديد المعارضة حديد القلم يقرع صاحبه بالحكم أكثر مما يقرعه بالحجة . ولو كان المازنى مكفول الرزق من طريق غير طريق الأدب لما قصر أكثر جهده على الصحافة . ومن مساوئ الصحافة أنها تفرض على الكاتب

الظمآن . . !

للأستاذ راجي الراعي

في ذلك المساء كنت عائداً إلى بيتي لأطرح على عتبته أعباء اليوم وأنا أمسح العرق الذي يتصبب به جبيني وألتقط حجارة البؤس وأرجم بها الدنيا ، فشمرت يد ناعمة تمتد إلي ونظرت فإذا بشبح في عينيه ألف شعاع ينتصب أمامي وبادرني قائلا : أنت من البائسين ولكن خفف عنك فالحياة التي تربعها تدعوك الليلة إلى جلسة شراب تقيمها لك ولأمثالك في القصر القائم على تلك الرابية التي تراها فاذهب واشرب وتمتع ، فسألته : ومن تكون أيها الشبح المشع ؟ فاجاب : أنا الرحمة ، وما هي إلا طرفة عين حتى حملة النسيم وتوارى عني فقلت لنفسي : هل لمثلي أن يتمتع بشيء في هذه الدنيا ؟ هي ولا شك هزلة جديدة فلأذهب إليها لأشهد فصولها وواصلت السير إلى حيث ألقيت بأحمالي على عتبة البيت ، وخرجت والليل يشتمل ، أهبط الوادي وأتسلق الجبل حتى بلغت القصر فإذا هو يموج بالخلائق يتدافعون بالمناكب ليستمعوا إلى الكلمات التي كانت تنيدها عليهم امرأة توسطت المكان ، طويلة القامة بديعة ، ورحت أشق الصفوف المتراصة حتى دنوت من تلك المرأة فسمعتها تقول : أنا الحياة — أعرف أنكم البائسون من أبنائي الذين طالما عبست في وجوههم وقد رأيت أن أجمعكم منذ اليوم مرة في العام لأعرض لكم أثمن ما لدي من الكؤوس وأسكب لكم منها فتبتل شفاهكم الجافة ببعض ما حرمتموه من دناني — أنا الحياة ، ولي كؤوس وأنفرها وأجلها وأعزها ثلاث ؛

ورفعت بيدها الكأس الأولى وقالت : هذه هي الكأس الصفراء كأس الثروة من شربها اتسع أمامه مدى العيش وأقام القصور الفاطحة السحاب واقتنى الأرض الفسيحة الرحاب ونال ما يشتهيه من الطيبات وتحدى الأقدار ، ورفل بالديباج والحرير وبسط الموائد المثقلة بما لذ وطاب من الطعام والشراب — ورمت الحضور بقبضة من الدنانير فهجموا يلتقطونها وصبت خمرة الثروة فشربوا جميعهم — أما أنا فلم أشرب —

ثم رفعت الكأس الثانية وقالت : هذه كأس الكؤوس ، كأس المرأة يحفها الحب والجمال ، من شربها فرشت له الجنات تجري من تحتها الأنهار وتدفقت عليه قبل الحسان وحملته أجنحة القلب إلى آفاق البهجة والنعيم وتنشق الرياحين وسجع له الحمام وانتقل بين الزهر والورد وذاق الشهد — وأطلقت في تلك القاعات فتاة غضة بضة سمراء الوجه دعجاء العينين رشيقة القد يفوح منها عبير الحسن وتشع عيناها بالإغراء والفتنة فتخاطفت وجنتيها وتنافست في ثغرها القبلات — وصبت الحياة خمرة المرأة فشرب الجميع — أما أنا فلم أشرب —

ورفعت الكأس الثالثة وقالت هذه هي الكأس الحمراء ، كأس المجد ، كأس الفاتحين الغزاة من شربها دقت له الطبول وخفقت في سمائه الرايات وسارت في ركابه الجيوش واكتسح البلدان وأخضع الشعوب وثمل بخمرة النصر ونصبت له التماثيل والعروش — ودارت على الناس يا كاليل من النار فزينوا بها رءوسهم ، وصبت خمرة المجد فشرب الجميع — أما أنا فلم أشرب —

كنا عشرة آلاف من بائسي (هيجو) يتمخض بنا القصر ، وكان الجميع من حولي يهللون للحياة ويترنحون بخمرها ويثنون على كرمها وحنانها إذ جادت عليهم وهم المحرومون بساعة من ساعات نعيمها .. وكانت الحياة تطرب لبنيها وهم يطربون ولكن ساءها أن لا أكون من دعائها المهللين وسكاراها الطروبين وراحت تسأل عني وقد جرحت كبرياءها وما لبثت أن أقبلت علي والعيون تحدق إلينا والقوم يتهامسون وسألتني : من أنت ؟ فأجبتها : أنا الظمأ .. الظمأ القاسح ، الظمأ كله ! فقالت : ولم لا تشرب من كؤوسي التي أدرتها على رفاقك ؟ فقلت : أنت تجهلين نفسك أو تتعرفينها ولكنك تخدعين فالكؤوس التي عرضتها وسكبت فيها

الموضوع وتحمله على السرعة . وموضوع المازني القصص وفنه الوصف . فلو أنه خلص لهذين البابين لأتى فيهما أعجب العجب .

* * *

هذه بعض صفات الصديق الراحل ذكرتها عجلة في مقام الحزن على فقده والجزع لمصابه . أما سائر صفاته وتحليل ملكاته وترجمة حياته فلها في تاريخ الأدب فصل طويل سأكتبه بعد قليل .

(المنصورة) جرجيس فزايات

في الأدب المهجري (*)

للأستاذ حبيب مسعود

ليس من شأني في هذا الحديث أن أعرض عليكم صورة من الأدب العربي في كل أنحاء العالم الجديد. فذلك يقتضي وقتاً طويلاً ودراسة مستفيضة، وإنما أقتصر في حديثي على أدبنا في البرازيل؛ ومتى ذكرت هذا القطر الكبير بمساحته وشعبه فلا يسعني إلا أن أحيي فيه رمز الكرامة والسماحة، وموطن الحرية والضيافة؛ فقد فتح صدره لقومنا وغمرهم بعطفه ومنحهم بشرائعه الحرة فأصابوا فيه من نعمه ما أصابوا وكان لهم هذا المقام الذي يحتلونه.

لقد بلغكم ولا شك الشيء الكثير عن مآتي قومنا في البرازيل وتحدث عن المكانة المادية والأدبية التي وصلوا إليها بعد جهاد سبعة عقود من الزمن وفروا له من العزيمة والجلاد ما تضؤل عنده بطولة الأساطير.

ولست مبدأ فصول المآتي والبطولة في حياتهم المهجرية فهي أبعد من أن تستوعبها الكلمة العجلى فأحصر كلامي في الناحية الأدبية لعل فيها جلاء للذين يعتقدون أن المغتربين أصحاب بيع وشراء وحسب، أو أن الأدب العربي المهجري أدب مسيخ لا يمت إلى الفصحى بنسب.

الأندلس الجديدة لقب أطلقوه على البيئات العربية (وكلها من سوريا ولبنان وفلسطين) التي تكتلت في العالم الجديد وكونت عنصراً له قواه المادية والمعنوية، تشبهاً بالأندلس القديمة التي فتحها العرب وأنشأوا فيها تلك الدولة التي لم يجل ما قيل فيها حتى الآن حقيقة كيانها، فإن كل ما كتب في التاريخ الأندلسي من دوزي و كونده ودارو إلى بروفنسال و كردرا وريبيرا وبالاسيوس وغيرهم من الأفرنج والعرب لم يسبر غور تلك الحقبة الطويلة من الزمن وهي تناهز الثمانمائة من السنين. أما نحن فإننا نستقي تاريخ الأندلس من مناهل مؤرخي الغرب وعلمائه ونستمدهم في دروسهم الاستقرائية ومباحثهم التحليلية فنستشهد بما قاله دوزي المولاندي وريبيرا الأسباني.

إن بين الأندلس القديمة والأندلس الجديدة فرقاً من وجهة وشبهاً من وجهة أخرى. فالفرق هو أن العرب دخلوا الأندلس فاتحين فرضوا سلطانهم ونشروا هيبتهم وحموا بتيوقهم مؤسساتهم وساعدهم دينهم فدرج الأدب والعلم في ظلال أعلامهم وزها الشعر

(*) محاضرة ألقاها الأستاذ في الجامعة الأمريكية ببيروت.

أيتها الضالة المضللة كؤوس وهية خداعة لا تجدي ولا تروي .. إنك لا تستطيعين أن تعطي أكثر مما عندك، وما عندك ليس بالشيء الكثير ولا هو بالترياق لعليل مثلي فلو أعطيتني كل ما لديك من الذهب ونضحتني بكل ما لديك من النساء وصور الحب والجمال وزينت رأسي بكل ما لديك من أكاليل النار ووهبتني الدنيا بأسرها لما اكتفيت ولا هدأت نفسي .. ما الفائدة من الكأس إذا لم ترو شاربها؟ أنا هو الإنسان، أنا هو الظمأ المستديم وليس في كؤوسك ما يرويني، أنا لسان من اللهيب يتدلع وليس في وسعك أن تطفيه، أنا نار ليس في يدك رمادها .. إن بيني وبين نفسي منذ تعرف أحدنا إلى الآخر لفلوات شاسعات كتب لي أن أظل مكتوياً بضرامها حتى يفتح الله لي شرفة من داركِ على الآخرة حيث آمل أن أرى وجه الله وأذوب فيه وأرتوي .. أنا الظمأ وأنت لا ترويني، أنا الإنسان الكبير وأنت الحياة الصغيرة وما هو ذهبك، ما هي نساؤك وما هو مجدك إذا جاشت الجائشات في صدري وأطلقت خيالي — أنا ظمآن، ظمآن إلى الله وأنت كافرة ظمآن إلى الحق وأنت الباطل، ظمآن إلى الوفاء وأنت الخيانة، ظمآن إلى الخلود وفي كأسك نمالة الموت! أنا ظمآن خلقت ظمآنا من قوم ظامئين وأجتاز صحاريك ظامئاً وسأموت ولساني جاف وشفتاي المرتشتان تتلمسان النبع وتلهبان شوقاً وحنيناً إلى الماء الذي هو الماء والخمرة التي هي الخمرة .. ومن أجل ذلك أنا واجم كئيب وبائس يائس فلا ترأفي بي أيتها الحياة، إن رأفتك لا تجديني ولا تفخري بكؤوسك بعد اليوم ولا تسكبيها فهي تؤلمني ولا تكفيني ...

راجي الراعي

فى قبائل بحدم، فى حين أن قومنا دخلوا أرض كولمبس مسترزقين طالبين عطفاً وسائلين مدلا . أما وجه الشبه فى هذه الدولة الأدبية التى بناها قومنا هناك شأن العرب فى الأندلس .

إن لانتقال العربية إلى الوطن البرازيلى ونشرها بين عشيرتنا المغتربة بالصحف والكتب حكايات لا تقل غرابة عن حكايات ألف ليلة وليلة ، فالصحافة العربية كانت فى أول عهدها ضرباً من الاستشهاد ، ومزاولة الأدب العربى فى تلك البيئة الغريبة كانت نوعاً من الانتحار . ذلك لأن مغتربينا الأوائل كانوا فى معظمهم أميين أو شبه أميين ، ولم يكن همهم الأوحد إلا اقتناص الرزق وادخار الكسب . فما يجرى فى عروقنا قد ورثناه من أولئك الذين قذفوا بأول قارب إلى البحر وعرفوا العالم الجديد قبل كولمبس وأميركو بآلاف السنين ، وهن أولئك الذين توغلوا فى قلب آسيا وفتحوا بلاد القوط من مقاصة مغتربنا الأول الذى ركب البحر إلى ديار بعيدة يجهل حتى اسمها أسست دولة ضخمة بصناعتها وتجارتها لا يدرك عظمتها إلا من خبرها ، ومن عجائب ذلك الأدب الذى أنشأ أول نشرة عربية قامت الدولة الأدبية التى دعيت الأندلس الجديدة .

فالأندلس الجديدة هى نشيئة الأديب المغترب الذى استشهد فى سبيل قومه ومن أجل لغته . زهد فى كل شىء ما خلا وطنه ، وقنع بالبلغة لكى يحافظ على لسانه . وليس الفضل أن تصون لغتك وأنت قابع فى ديارك وبين عشيرتك ، وإنما الفضل كل الفضل أن تصونها وتحضنها وتشقى من أجلها وأنت فى بلاد غريبة عنك لساناً وعادة ومرقى .

على أن هذا الفاضل الذى ذكرت لم يسلم من افتراء بعضهم حتى أن أحدهم وهو من أدباء دمشق عرض بأدباء المهجر عامة وتنقص شعراءه . وقد يكون عذره الوحيد أنه ألقى كلامه جزافاً أو أنه وقع عرضاً على بضاعة نافقة ، ومثل هذه البضاعة كثير هنا وهناك وفى كل مكان . ولو تروى وتحص وكشف الرغوة من الصريح لأدرك أن فى المهجر عناصر لها مكانتها الرفيعة فى اللغة والأدب والشعر ، وأن أمثالها قليل فى أى قطر من الأقطار العربية . لست مفاخراً ولا مترفقاً فسأورد لكم بعد قليل أمثلة من نتاج أدبائنا المغمورين ولكم أن تتخذوا منها حجة لى أو على

تقلب الأدب العربى فى البرازيل بين مد وجزر ، وتنازعته عوامل البقاء والفناء سراراً ، ولد فقيراً بين حفنة من البشر نزحت عن وطنها طلباً للرزق ، ودرج هزيلاً لسوء غذائه المادى والأدبى ، وشب نشيطاً يجرى فى عروقه دم استمده من قافلة أدبية جديدة لحقت بالقافلة الأولى ، وتعطف عليه بيئة ارتفع مستواها العقلى وبدأت تتذوق الأدب وتقبل على جيده . أما اليوم فقد دخل فى طور كهولته فأينعت ثماره وطاب شرابه . عندنا الفتوى المدقق ، والشاعر المنطلق فى أجواء الإبداع ، والمنشىء الناصع الديباجة ، والكاتب الذى يجمع بين روعة الأسلوب وعمق التفكير

وعندنا المدارس التى تعلم العربية وقد طالما أخرجت الألوف من نشئنا وعلى ألسنتهم لثغة قحطان ، وفى قلوبهم صبوة لوطن آبائهم ، وعندنا الأندية التى ما برحت سوقاً يتبارى فيها فرسان الشعر والأدب . ما انطوى علم من أعلام الأدب أو الوطنية إلا عجدت ذكراه بمهرجان أدبى . فى تلك الأندية شهر فضل محمد عبده ، وفرح أنطون ، وسليمان البستانى ، ومصطفى المنفلوطى ، والحسين ، وفيصل ، وعبد الله البستانى ، وفوزى المعلوف ، وجبران ، ورشيد أيوب ، والريحانى ، ورشيد سليم الخورى ، وميشال المعلوف ، ونسيب عريضة ، وشكرى الخورى ، وعقل الجر وغيرهم ممن تفوتنى أسماؤهم . أما الحفلة الكبرى التى أقامتها العصبة الأندلسية لذكرى المتنبى الألفية فقد بزت بروعتها وبما قيل فيها من الشعر كل ما ألقى فى الحفلات الأخرى ، ولقد حلق شعراؤنا فى سماء الإبداع حتى جاوروا شاعر العرب الأكبر .

أما الصحف العربية التى ظهرت فى البرازيل منذ بدء الهجرة حتى يومنا فتجاوز الخمسين ، وقد بلغ عددها قبيل الحرب العالمية نحواً من خمس وعشرين صحيفة بين مجلة وجريدة لم يبق منها إلا مجلتان وثلاث جرائد .

لم تكن الصحافة العربية فى المهجر إلا مدارس تنقل إلى قومنا الثقافة والأدب ، ورسولاً ينقل إليهم أخبار أوطانهم وذويهم ، وبوقاً يذيع مآثرهم ، وصديقاً يواسيهم فى أتراحهم ويشاركهم فى أفراحهم ومعلماً يلقنهم القراءة والكتابة .

بيد أن ظهور العصبة الأندلسية كان أكبر أثر أدبى فى تاريخ الأدب العربى بالبرازيل . ففى عام ١٩٣٣ وقد استفحلت

فوضى الأقلام ، شعر نفر من أدبائنا على رأسهم الطيب الذكر ميشال بك معلوف بافتقارهم إلى رابطة تجمع شملهم وتصون أدبهم فتنادوا وتعاقدوا وأجمعوا على إنشاء مؤسسة أدبية دعوها العصبة الأندلسية تيمناً بالعصر الأندلسي الزاهر . وفي عام ١٩٣٥ قر رأيهم على إصدار مجلة تنقل نتاجهم الأدبي وعهدوا إلى هذا الحقير الواقف أمامكم في رئاسة تحريرها . وليس لي أن أقول شيئاً في هذه المجلة فالرأي والحكم لمن رافق حياتها وبينكم منهم كثيرون ، وإنما لي كلمة أقولها وفاء لحرمة الأدب وهي أن « العصبة » كانت وما تبرح الصحيفة التي لم تعن لتأثير شخصي مهما كان حوله وطوله ، ولم تعن بغير الأدب والثقافة ، فن الأدب الذي لا يؤمن إلا بالكفاءة والنزاهة والصراحة والتضحية نشأت ، ولأجل هذا الأدب وحده تعيش .

تحمل « العصبة » شهرياً في المائة والعشرين من الصفحات نتاج الأدباء المنضمين تحت لوائها وغيرهم . ورسالة « العصبة » أن تنقل إلى الشرق العربي أدب المهجر ، وإلى المهجر أدب الشرق ، وهي رسالة وقفنا لها قلوبنا ودفعنا إليها عياننا بهذه الثلة التي حضناها في جوانحنا . ورسالة « العصبة » أيضاً أن تطلع العالم العربي على بدائع الفكر الغربي ولا سيما البرازيلي . ها كم مثالاً ، هذا المقطع من الشاعر البرازيلي الكبير كاسترو الفس وقد نقله شعراً شقيق معلوف رئيس العصبة الأندلسية وعنوانه « العبقري » :

هو لو طوف في الدنيا وجابا ... مدن الأرض ذهاباً وإيابا
لقضى العمر يدد الناس عنه ... كفه فارغة ، والأرض ملأى
ولئن تربّ ، والأحشاء ظمأى ، ... فسه للنهر ، فر النهر منه
لم يصب مأوى على وسع الفيافي ... لا ولا ظلا ، وظل الغاب شاف
لا ولا ضمة تحنان وعطف ... ولئن لوح في عرض الطريق
بيديه ناشداً كف صديق ... لم يفز إلا بتصفيق الأكف
سار في قفر بعيد الدرب وعر ... ينقل الخطوات من نصر لنصر
حاملا من مجده زاداً وقوتا
قيل هذا عبقري لا يموت ... فمضى يسأل : هل يوماً حييت
يا بني قومي لأخشى أن أموتا

ودونكم هذه القطعة للشاعر البرازيلي ڤيسنتي دي كارفاليو وقد ترجمها نثراً أخونا في العصبة الأندلسية يوسف البعيني وعنوانها « اختراع الشيطان » :

« تقاسم الله والشيطان هذا العالم فكانت حصة الله الأفلاك ، وحصة الشيطان العالم الموبوء بالمعاصي والشرور الذي لا ينبت إلا الموسج ولا يلد سوى الأفاعي والثعبان . وخرج الشيطان مرة من وكره الناغل بالمغاربت وصعد إلى السماء حيث يرتكز عرش الآلهة . وفيما هو يتهادى مخلوباً بمناظر النعيم شاهد حواء مستلقية بجسمها العاري في ضوء القمر فحسبها في أول الأمر قطعة من المرمر الشفاف . ولكنه دهش إذ علم أن صاحب هذا الهيكل البض امرأة تنمشى في أعضائها حرارة مبهمة — هي حرارة كل كائن حي .

وما كاد يفكر قليلاً حتى تجسمت في مخيلته صورة اختراعه الفذ فاقترب من حواء وسكب في فمها الوردي الجميل كأساً من السم . عند ذاك تبسم بخبث ودهاء ومضى مسروراً لأنه اخترع قبلة المرأة ! . . . »

ولا أزيدكم ، فيما أوردت كفاية للدلالة على بدائع الأدب البرازيلي .

وقفت أخيراً على بحث لأحدهم في أدب المهجر مزا فيه روح التجدد إلى أدباء الشمال يوم كان جبران يتزعمهم ، وأنهم إخوان العصبة الأندلسية بالمحافظة على الأساليب القديمة . أقول إذا كان جبران وبعض إخوان الرابطة القلمية قد فتحوا بتفكيرهم جواء جديدة فهذا لا يعني أن كل أديب في أميركا الشمالية بلغ شأوهم ، أو أن أدباء العصبة محافظون لأنهم لم يسبحوا في تلك الجواء . أما إذا كان المراد من الأساليب القديمة السيئة اللفظية والمحافظة على ضوابط اللغة فليس في ذلك موضع للغمز واللمز . ألم يخلق جواً جديداً فوزي المعلوف في بساط ريحه ، وأخوه شفيق في مبتره ، والشاعر القروي في حضن الأم ؟ أما إذا كان التفكير الجديد يقتضي أسلوباً جديداً ، والأسلوب الجديد يقتضي خروجاً على اللغة وبلبلة في التركيب ووطأة في التعبير ، فلست مبرئاً إخواني من التهمة بل أعلن على رؤوس الاشهاد أنهم محافظون أكثر من تشرشل وأعوانه .

ثم لا أدري ماذا يقصد بعضهم بالتجدد وقصة التجدد طويلة عالجتها الأقلام وتناولتها مساجلات عنيفة بين مقدمي الأدب القديم ، ومحتري تراث التابرين . وكلا الرأيين في شرعي مقال ، فليس في الأدب قديم ولا حديث ، وإنما فيه جيد وسقط ، والجيد يظل جيداً مهما قدم ، والسقط لا قيمة له سواء كان قديماً أو حديثاً. بعد ألف عام ما تنفك نطأطئ الرأس احتراماً لقرائد المتنبي ، وبعد أحد عشر قرناً ما يزال ابن المقفع والجاحظ أميري القلم وسيدي البيان وإمامي المنشئين.

والتجدد ليس علماً يلقن أو قواعد تدرس ، إنما هو نزعة خلاقة في الفكر ، وصبوة في النفس إلى الإبداع ، وملكة في الطبع تأبى الانقياد . والمجددون هم صنف من العباقرة أوتوا موهبة الفتح والقدرة على الخلق ، وليس في طاقة كل أحد أن يكون مجدداً ، وإنما في طاقته ألا يكون مقلداً .

وسألني بعضهم هل لأدب العصبة الأندلسية اتجاه خاص أو طابع معروف به ، فكنت أجيب : لا أعرف للأدب اتجاهاً واحداً ولا طابعاً خاصاً ، وإنما أعرف أن الأدب فن كسائر الفنون الجميلة يمكنك من التعبير عن مشاعرك وتصوير ما يرتسم بأفكارك وتدوين ما يجري في أيامك وتعريف ما يقع تحت نظرك من المشاهد وغير ذلك من الأغراض . وأعرف أيضاً أن لكل أديب اتجاهاً وطابعاً ليوله وثقافته وبيئته . أما هذه الأنماط التي يعرفونها تارة بالمدرسية وطوراً بالوجدانية ومرة بالرمزية فهي أشبه شيء بالأزياء التي يستحسنها هواة الطرافة يقبل عليها الناس زمناً ثم يهملونها . قالوا إن هوجو وجماعته ابتدعوا المذهب الرومانطيقي الذي يعتمد للشاعر والخيالات والصور الطبيعية ، والواقع أن هذا المذهب قديم جداً نلقاه في التوراة وفي أدب الهند والأندلس وغيرها ، فهو لا يخرج عن زي قديم ، كما أن الرمزية التي يريد دعاتها اليوم أن يرفعوا علمها على أنقاض الرومانطيقية ليست سوى الصوفية بعينها .

أنا لا أستنكر المذاهب الكتابية مهما كان شأنها لأنها تحمل روح الابتكار ودلائل الحياة ؛ فالركود آخره الفناء والجمود معناه الموت ، لكني لا أعتبرها من الأدب أسسه وأركانه ، فالمذاهب تتغير أما الأدب فباق . لقد كانت الرمزية في مبدئها بدعة استهوت الألباب ، ثم خل شأنها مع الزمن حتى كادت تهمل في أيامنا على انتشار الفناء وهي في أصلها ابتدعت للفناء والطرب . أما أدب امرىء القيس وعمر بن أبي ربيعة والمتنبي وابن المقفع والجاحظ وابن خلدون وأضرابهم فراسخ كالطود مهما تنوعت المذاهب وتجددت طرق التعبير .

وهذه بعض قطع لشعرائنا لم أختارها وإنما وقعت على أكثرها هنا في بضعة أجزاء من « العصبة » . ابتدىء بقصيدة « ساعي البريد » وقد نظمها شاعرنا شفيق معلوف في أثناء الحرب الأخيرة تخيل فيها أما في وطننا تترقب ساعي البريد لعله يحمل إليها خبراً من ابنها في المهجر :

ساعي البريد وما ينفك منطلقاً ... وكل باب عليه غير موصود
يسعى بأكداس أوراق مثلثة ... تفوح منهن أطياب المواعيد
خلف النوافذ أجفان مشوقة ... إليه تخفق من وجد وتسهيد
بما فهز عقود النيد مقدمه ... هز النسيم لحبات العناقيد
كم قبلة من فم الشاق يحملها ... على يديه ويهديها إلى النيد
يا ساعياً بابتسامات توزعها ... على الشفاه بلا من وترديد
كم وجه أم عجوز إن بزرت له ... لم تبق من أثر فيه لتجعيد
تلقى إليها كتاباً إن يصب يدها ... شدته باليد بين النحر والجيد
كأن كل غلاف منك ملتحف ... بابن إلى صدر تلك الأم مودود

وهذه قطعة لشاعرنا رشيد سليم خوري المعروف بالشاعر القروي عنوانها « النفران » :

قمت قبل الطيور أشدو حبوراً ... لا أرى باعثاً لفرط حبوراً
مؤنساً وحشة الفضاء كأني ... نبأ طيب سرى في الأثير
أتهادى بين الغصون كغصن ... وأناغي العصفور كالعصفور
وعلى وجنتي الورد غاسل ... عائم فوق موجة من نور
قلت ربي أزال عهد شقائي ... أم أراني في عالم مسحور
وإذا زهرة كوجنة طفل ... جنبها شوكة كناب هصور
فتذكرت ليلة الأمس رؤيا ... باح لي وردها بسر سروري
إن كف الزمن تحت سكون ... الليل بالعفو غلغلت في سريري
فرمت نفحة من العطر في قلبي ... وعادت بشوكة من ضميري

وهذه مقاطع من قصيدة « النغم الأخيرة » لشاعرنا شكر الله الجر :

وقفت ... وقد نفث الدجى فى وجنتيها بجمتين
وأذاب حبة قلبه فى شعرها والحدقتين

وتفتقت فى الأفق أكمام الغمام عن القمر
قبل لها كالوردة البيضاء فتحها السحر

والنهر كالديباجة الخضراء جعدها النسيم
يغشاب مثل اللوعة الحمراء فى صدر الكريم

والحور عند ضعافه مما ألم به ارتبك
أنى شباك ظلاله فاصطاد أخيلة السمك

واقتطف هذه الأبيات من قصيدة نظمها شاعرنا نصر سمعان فى « المصدور » :

نزيف دم أرقت به شبابك أصاب الأرض منه ما أصابك
أقبل الوت تنثره وتشقى به فى كل آونة ترابك
ملأت مسامع الدنيا أنيناً أذعت به على الدنيا مصابك
وما لك يا حليف اليأس إلا حديث اليأس من ألم أذابك
تحس الكف كف الوت فيها إذا لمستك أو مست ثيابك

وهذه أبيات من قصيدة « مخازن الأطلال » لشاعرنا المدنى قيصر سليم الخورى :

يا دهر كم لك منة عندى وكم من منة للدهر دون زوال
نأوى البيوت إذا استهلت دجنة وفر منهـا ساعة الزلزال
متع الليالى لا تدوم وطالما حسر الحاذر جره لزوال
ينجو المنقل وهو فى حدق الردى ويصاب فى عينيه حين يبالى

وهذه أبيات لشاعرنا حسن قراب من قصيدة يدفع فيها ما اتهم به العرب أحد كتاب الأجانب :

قل للألى علوا علينا حملة شعواء شبت نارها الأهواء
ما نحن ما رسمت لكم أوهامكم بل نحن مما ترعمون براء
نهتز عجبـاً واختيالاً كلما عصفت بنا من ريحكم هوجاء
وتظل أعراض الكرام نقية بيضاء مهما عابها السفهاء

وأخيراً هاكم هذه الأبيات من قصيدة لفقيد الأدب العربى عقل الجر بعنوان « أنى » :

ذكرت ولكن كم عبر أموراً نقضت زمان العمر
غـداة أدب دبيب الهال وحولى تدب صروف القدر
أنتنع لا مفصح كلمـة فتحسب أنى كلانى درر
وأعبث فى البيت مستعملاً فأى إناء أصبت انكسر
وأبكى فيضجر بى والدى وليس يلم بأنى الضجر
فتلهب خـدى فى لمسها وتمسح عن مدمعى ما انهمر
فديتك أماً تسام العذاب النهار وفى الليل ضنك السهر

هذا مثال خطيف من أدب الأندلس الجديدة اقتصرت فيه على النظم دون النثر . هذا من شعر المهجر الذى أبى أحدهم أن يتعرف إليه لأنه ليس شعراً عربياً . وهذا أيضاً شىء من نتاج العصبة الأندلسية وقد قال فيه آخر إنه من طراز الجاهلية .

لا هذا ولا ذاك ، بل هو شعر جمع إلى نخامة الديباجة دنيا من الألوان والصور والرقة والفتنة ، فليس فيه ميعة الشعر الأندلسى ولا خشونة الشعر الجاهلى .

أقول عجاهراً فى هذا المهد العلمى الذى يحترم حرية الرأى : إن أديب المهجر مغموط حقه ، وإن أديب الأندلس الجديدة منحوس فضله . ولكن إن لم تقدر الأقوام العربية اليوم شأنه فسوف يقدرونه غداً بعد أن تفقد الأندلس الثانية ويقيمون له ضريحاً ورمزاً يحمل هذه الكلمات : « هنا يرقد الأديب العربى المجهول » .

حبيب مسعود
رئيس تحرير مجلة العصبة الأندلسية

ظهرت حديثاً

الطبعة الثالثة من المجلد الأول من كتاب :

وحى الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

يطلب من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة
وثمنه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

فكرة المعتزلة :

فكرة الله عند المعتزلة

للدكتور أنيس نصري نادر

نزل القرآن الكريم يتحدث عن الله تعالى خالقاً للكون مدبراً له . والتوراة والإنجيل يتحدثان عن الله وعن صفاته . والكون بأثره وما فيه من نظام يدل على وجود كائن أول متصل ، والمعتزلة لا تشك أبداً في وجوده تعالى ولكن جل همها كان البحث في ماهيته وعلاقته بهذا العالم المخلوق .

نفي صفات الله :

تفخر المعتزلة بأنهم أهل توحيد . ولكن كل مؤمن موحد أيضاً — ولما كان التوحيد اعترافاً بوجود إله واحد نجد المعتزلة على حذر كبير في التحدث عن صفاته تعالى خوفاً من أن يؤدي الكلام في هذا الموضوع إلى شرك يقضي على كل توحيد . لذلك نفت الصفات عن الله .

والأصل الأول الذي كان يقول به واصل بن عطاء رأس المعتزلة (المتوفى سنة ١٣١ هـ) هو نفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة (١) . لأن واصل أراد أن يرد فكرة الأقانيم (٢) عند النصارى ، وكان يرى فيها ثلاثة آلهة ، إذ أن الثلاثة قديمة . فخشي أن تؤدي فكرة الصفات حتى الأزلية إلى شرك عند المسلمين ؛ لذلك جنح إلى التنزيه البحت وبه نفى أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته .

كانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة . وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ، لأنه من أثبت معنى وصفة قديمة فقد أثبت إلهين .

ثم شرع أصحاب واصل في هذه المقالة بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات إلى كونه عالماً قادراً ثم الحكم بأنها صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة (١)

والمعتزلة حجة قوية في نفي الصفات وردها إلى اعتبارات ذهنية للذات .

حجتهم :

يقول المعتزلة : لو قامت الحوادث بذات الباري لا تصف بها بعد أن لم يتصف ؛ ولو اتصف لتغير ، والتغير دليل الحدوث إذ لا بد من مغير (٢) . فإذا ما تكلمنا عن علم الله مثلاً لا يجوز أن نعتبر العلم صفة قائمة بذاته تعالى ؛ لأنه إما أن تكون هذه الصفة أزلية كالذات ، وإما أن تكون حادثة . فإذا كانت أزلية فكيف يمكنها أن تحل في الذات ؟ وإذا حلت فيها كان هناك أزليان — وإذا كانت حادثة وحلت في الذات فكانت الذات قد تغيرت من حال (حال عدم العلم) إلى حال (حال العلم) والتغير دليل حدوث ؟ فتكون الذات حادثة في صفاتها . وهذا ما لا يتفق وكماله تعالى .

تعريف المعتزلة لله :

نجد في كتاب « مقالات الإسلاميين » (٣) للأشعري تعريفاً كاملاً شاملاً لله حسب رأي المعتزلة . فيقول : « أجمعت المعتزلة على أن الله واحد » (ليس كمثله شيء (٤) وهو السميع البصير) .

وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا ذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا ذي حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض . وليس بذي إبعاض وأجزاء وجوارح وأعضاء ، وليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة ولا المزلة ولا الحلول في الأماكن .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم جزء أول صفحة ٥٣

(٢) الأقانيم ثلاثة : الأب وهو الوجود ، والابن أو الكلمة وهو العلم ، والروح القدس وهو الحياة (شرح المواقف للجلبي ج ٨ ص ١٢٦)

(١) الشهرستاني : المصدر نفسه .

(٢) الشهرستاني : نهاية الأقدام ص ١١٥ من طبعة لندن وترجمة جيوم

(٣) كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تأليف الإمام أبي الحسن علي بن إسمعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ ، عني بتصحيحه هـ ريتر طبع استانبول سنة ١٩٢٩

(٤) سورة الشورى ٤٢ الآية ١١

ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم ، ولا يوصف بأنه متناه ، ولا يوصف بمساحات ، ولا ذهاب في الجهات ، وليس بمحدود ، ولا والد ولا مولود ، ولا تحيط به الأقطار ، ولا تحجبه الأستار ، ولا تدركه الحواس ، ولا يقاس بالناس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ولا تحل به الحادثات ، وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له .

لم يزل أولاً سابقاً متقدماً للمحدثات ، موجوداً قبل المخلوقات ، ولم يزل عالماً قادراً حياً ، ولا يزال كذلك ، لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ولا تحيط به الأوهام ولا يسمع بالأسماع .

شيء لا كالأشياء . عالم قادر حي لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وأنه القديم وحده ولا قديم غيره ولا إله سواه ولا شريك له في ملكه ولا وزير له في سلطانه ولا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق . لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خلق شيء بأهون عليه من خلق شيء آخر ولا بأصعب عليه منه . لا يجوز عليه اضطرار الجائع ولا تلحقه المضار ولا يناله السرور واللذات ولا يصل إليه الأذى والآلام . ليس بذي غاية يتناهى ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص . تقدس عن ملامسة النساء ، ومن اتخاذ الصاحبة والأبناء .

فها نحن بصدد تعريف جله نفي كل صفة عن الله ؛ ونتيجة لهذا التعريف لا يمكننا أن نكون من الله فكرة حقيقية وواقعية أي موضوعية ، ولا يمكننا أن ندرك فكرة اللاألوهية حتى ولا بالمشابهة مع المخلوقات ، لأن فكرة اللاألوهية متعالية من كل مخلوق مجردة من كل صفة يتصف بها المخلوق — وهذا ما جعل للمعتزلة تقول بأن الخلق لا يستمد ماهيته من الله ، لأنه لو كان الأمر كذلك لوجد تشابه في الماهية بين الله والخلق ؛ ولكن ماهية الخلق لا تشارك البتة ماهية الله التي تجهلها تمام الجهل — وتنتهي المعتزلة إلى القول بأن الله لا يمنح سوى الوجود للخلق ، وكل ما عدا الوجود فلا يوجد أي تشابه بينه وبين الله .

أن هذه النقطة في غاية الأهمية لما يترتب عليها من أقوال ونظريات تتعلق بمسألة خلق العالم وماهيته .

تحليل هذا التعريف :

إذا نظرنا إلى هذا التعريف نظرة تحليلية وجدنا أنه رد على اعتقادات مختلفة إسلامية كانت أو مسيحية أو مجوسية ؛ كما أنه رد أيضاً على نظريات فلسفية كانت منتشرة في عصر المعتزلة أي في القرنين الثاني والثالث للهجرة .

كانت الرافضة تقول وهي معتقدة أن ربها جسم ذو هيئة وصورة يتحرك ويسكن ويزول وينتقل ؛ وأنه كان غير عالم ثم علم ، وأنه يريد الشيء ثم يبدو له فيريد غيره[1] .

ومن جهة أخرى تقول المشبهة بأن الباري تعالى يشبه الخلق في شعوره وإحساسه وتفكيره وإرادته حتى أن بعضهم قال بأن له أعضاء كأعضائنا تماماً محتجين ببعض آيات مثل (يد الله فوق أيديهم)[2] . (وقالت اليهود يدُ الله مغلولة)[3] . (ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام)[4] (الرحمن على العرش استوى)[5] والمشبهة تأخذ بهذه الآيات حرفياً بدون أي تأويل .

لذلك نفت المعتزلة الجسمية عن الله كما نفت كل ما يتعلق بالجسم من حركة وسكون وصورة ولون الخ . . كما هو واضح في الجزء الأول من التعريف . وكذلك نفت عنه تعالى كل ما يتعلق بالنفس الإنسانية من شعور ومعرفة (بمعنى للشعور من درجة إلى درجة أسمى في المعرفة) وإرادة (بمعنى الاختيار) ، وقالت إنه تعالى « لا يقاس بالناس ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه » ولا نعلم شيئاً عن [illegible] agnostiques لا أدرية .

وبينما يقول النصارى بثلاثة أقانيم في الله نجد المعتزلة يرفضون كل فكرة من الأسرار ويعلنون بأن الله « لا والد ولا مولود ولا شريك له في ملكه » .

ونجد أخيراً في هذا التعريف رداً على المثل الأفلاطونية[6] التي كما يقول أفلاطون قد أنشأ الله الخلق على صورتها . ولكن المعتزلة ترى في هذه المثل الأزلية شرك لله وتقول أن لا معين على إنشاء ما أنشأ وخلق ما خلق . ولم يخلق الخلق على مثال سبق » .

(١) كتاب الانتصار للخياط المعتزلي ج ٨ ص ١٠٧
(٢) الفتح ٤٨ آية ١٠
(٣) المائدة ٥ آية ٦٤
(٤) الرحمن ٥٥ آية ٢٧
(٥) طه ٢٠ آية ٥
(٦) تيماوس لأفلاطون .

ما يترتب على هذا التعريف :

تقول المعتزلة بأن الله واحد ومتميز تمام التميز عن الخلق ، هو الأصل الوحيد الذى بمقتضاه يفرقون بين ما هو حق وما هو باطل فى التوحيد ؛ ويعتبرون أنفسهم بأنهم هم فقط « أهل توحيد » . وعلى هذه الفكرة بنى المعتزلة مسألة الخلق وهى مسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمبدأ نفى كل مشابهة بين ماهية الله وماهية العالم المخلوق . وبما أن هاتين الماهيتين مختلفتان ومتباينتان تماماً فى عرف المعتزلة قالوا إن الماهية المحدثة المخلوقة ليست حاصلة من الماهية القديمة ؛ لذلك قالوا بالعدم واعتبروه شيئاً وذاتاً وعيناً وحقيقة يمنحه الله الوجود ليصير كائناً[1]

مصدر فكرة الفكرة :

إنا نجد فى القرآن الكريم هذه الآية (ليس كمثله شىء)[2] وكذلك (لا تدركه الأبصار) [3] ولكن كم أيضاً من الآيات التى تتحدث عن أعضاء الله وعن الشبه بينه تعالى وبين الإنسان ؟

هل تكفى آية أو آيتان حتى تبنى عليهما المعتزلة هذا التعريف المنفى لله ويصبح تعالى كائناً متميزاً تمام التميز عن خلقه ؟ لا شك فى أن المعتزلة استرشدت أيضاً بمصادر أخرى .

كان واصل بن عطاء متصلاً بالنصارى . ولكنه رأى فى سر الثالوث الأقدس (وهو سر إله واحد فى ثلاثة أقانيم) شركاً لله ؛ فأخذ يرده بقوة حتى يصل إلى فكرة عن إله واحد فى غاية البساطة ومتميز تماماً عن خلقه . وابتداء من أبى الهذيل العلاف أخذت المعتزلة تطالع كتب الفلاسفة اليونانيين التى ترجمت إلى السريانية والعربية فى ذلك العهد . فكانت محاورة تيماوس لأفلاطون قد ترجمت إلى العربية [4] والله فى عرف أفلاطون لا يكوّن العالم على صورته بل على صورة المثل الأزلية . فساعدت هذه الفكرة المعتزلة على القول بأن العالم المخلوق لا يشبه الله الخالق أعنى (فى لغة المعتزلة) الصانع الوجود لماهيات مختلفة ومميزة عنه ؛ كما أنهم نفوا أن الله يخلق الخلق على مثال سبق .

ومن جهة أخرى يقول أرسطو إن الله ليس بالعلة الفاعلية للعالم وإنما العالم يجتهد بأن يحيى بقدر المستطاع حياة مماثلة لحياة الله ، ولكنه لا يستطيع ذلك لسبب مادته ، فيقلد الحياة الإلهية بحركة مستمرة وأزلية وهى الحركة الدائرية (انظر ارسطو كتاب الطبيعة ص ٢٦٥ ب ١) التى هى العلة الثانية للعالم — فإذاً لا توجد أى مشابهة بين الله والعالم ، والله على رأى أرسطو لم يبدع ماهية العالم ولا وجوده ؛ إنما المعتزلة مع نفيها كل مشابهة بين الله والخلق تقول إن الله منح الوجود فقط للعدم حتى صار كائناً .

وعندما أغلقت مدارس أثينا الفلسفية لجأ سمبليقيوس الفيلسوف إلى كسرى ملك الفرس وصديق الفلاسفة . وترك سمبليقيوس Simplicius عدة شروح لنظريات أرسطو وكان أغلب المعتزلة على صلة بالفرس حتى إن بعضهم كان من أصل فارسى مثل أبو على الأسوارى .

فهذه الترجمات العربية لكتب الفلاسفة اليونانيين التى قام بها السريانيون من جهة ، والترجمات التى قام بها الفرس من جهة أخرى ، ساعدت المعتزلة على مطالعة الفكر اليونانى وقدمت لهم ما يلزمهم من براهين للدفاع عن التوحيد كما فهموه .

لكن هذا لا يعنى أن المعتزلة وجدت الأفكار التى تنافع عنها وقامت بها جاهزة كاملة — أن فضلهم لكبير ، لأنهم اقتبسوا من الفكر اليونانى ما رأوه مناسباً للرد على المشبهة ودفع كل شرك مفاخرين بأنهم « حماة التوحيد » .

* * *

نفى المعتزلة لصفات الله تعالى لا يمنعهم من البحث فى بعض الصفات على زعم أنها اعتبارات ذهنية فقط وليست حقائق تتصف بها الذات الإلهية .

وهذا ما سنتطرق إليه فى مقالنا القادم إن شاء الله .

ألبير نصرى نادر
دكتور فى الآداب والفلسفة

(١) الشهرستانى : نهاية الاقدام ص ١٠١ الملل والنحل على هامش الفصل لابن حزم ج ١ ص ٨٥
ابن حزم ج ٤ ص ١٥٣ — البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٩٥
الاسفرايينى : التبصير فى الدين ص ٣٧
(٢) الشورى ٤٢ آية ١١ (٣) الأنعام ٦ آية ١٠٣
(٤) ترجمة يحيى بن البطريق فى عهد المأمون وراجع الترجمة حنين ابن إسحق (١٩٤ هـ الى ٢٦٤ هـ) وطالع هذه الترجمة شيوخ المعتزلة المتقدمون مثل أبو الهذيل العلاف وإبراهيم النظام الذى عرف حنين بن إسحق فى بغداد .

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

الأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

* * *

لا ريب أن شذوذ هذا الرجل قد بلغ أشده ، فعلى الرغم من كثرة ما كان يصل إلى يده من المال من الخلفاء والأمراء والأغنياء كنت لا ترى عليه إلا سيماء الفقر ، إذ لا يعنى بلبسه ، ولا يكترث بمظهره ، بل ربما بدا أمام الناس بثياب لا تليق إلا بالمتسولين : وقد رأى عليه أبو عبد الله العقيلي مرة فروة في الصيف ، فقال له : ألا تخل عنك الفروة ؟ قال : بلى ، وزب مجلول لا يستطاع فراقه . فنزع العقيلي فاضل ثيابه في موضعه فدفعها إليه[1] .

وما كان ليعجز عن فراق فروته في الصيف على رغم ملله منها وضجره مما تحمله من الحرارة لولا أنه كان يعيش عيشة المحتاجين ، وإن أعطى عطاء المترفين . لكنك عرفت أنه كان ينفق أكثر ما يأتيه من المال في شرب الخمر وإتيان المحرمات ، فلا غرابة إذا بدا أمام الناس بهذا المظهر الخشن البشيع !

ومع أن رداءة المظهر تعم صاحبها بالازدراء في أعين الناس — فإن لسان أبي دلامة كان من الطول والسلاطة بحيث يمنع الأذكياء من الاستخفاف بشأنه ، بل يدعوهم إلى الحذر منه والخوف من طعنه في أعراضهم :

أدلى أبو دلامة بشهادة لجارة له عند أبي ليلى[2] على آكان نازعها فيها رجل . فلما فرغ من الشهادة قال اسمع ما قلت فيك قبل أن آتيك ثم أقض ما شئت . قال : هات ؛ فأنشده :

إذا الناسُ غطوني تغطيت عنهم وإن بحثوا عني فقيهم مباحث
وإن حفروا بئري حفرت بئارهم ليعلم يوماً كيف تلك النبائث

ثم أقبل ابن أبي ليلى على المرأة فقال : اتيميني الآن ؟ قالت: نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم . قال : ادفعوا إليها فضلوا . وأقبل على الرجل فقال : وهبتها لك . وقال لأبي دلامة : قد أمضيت شهادتك ولم أبحث عنك وابتعت ممن شهدت له ، ووهبت ملكي لمن رأيت . أرضيت ؟ قال : نعم . وانصرف[1]

وهكذا أمضى القاضي شهادته ولم يبحث عنه ولم يطلب تزكيته خوفاً من لسانه الفضاح الذي استبان بعض شره في بيتين من الشعر . وقد ترى — من هذا — أن أبا دلامة كان جريئاً لا يخاف أحداً . والحق أن هناك فرقاً عظيماً بين جرأة اللسان وثبات الجنان ، فقد كان هذا الظريف جباناً من الطراز الأول يكاد يخاف من ظله ولو خاف جميع الناس لسانه .

أهدي للمهدي فيل ، فرآه أبو دلامة فولى هارباً وقال :

يا قوم إني رأيت الفيل بعدكم لا بارك الله في رؤية الفيل
أبصرت قصراً له عين بقلبهـــا
فكدت أرمي بملحي في سراويلي[2]

ورجل يخاف من رؤية الفيل — وهو الحيوان الأليف الذي لا يجزع من ركوبه الأطفال — جبان ما في ذلك ريب . وهو — لجبنه — كان يفر من مبارزة الرجال فراره من الأسود !

كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروب مع بني أمية . فدعا رجل إلى البراز ، فقال له أبو مسلم : أبرز إليه . فأنشأ يقول :

ألا لا تلمني إن فررت فإنني أخاف على غفارتي إن تحطما
فلو أنني في السوق أبتاع مثلها وجدك ما باليت أن أتقدما

فضحك أبو مسلم وأعفاه[3] .

ولقد حدث أبو دلامة عن نفسه — وفي حديثه إثبات لجبنه وخوره — قال : أتى بي المنصور أو المهدي وأنا سكران فخلف

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٦٤ .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة . أول من استقضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفي واستقضاه بعد ذلك بنو العباس

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٨ .

(٢) ولقد روى البيان في شذرات الذهب وتاريخ بغداد ولسان الميزان مع اختلاف يسير في اللفظ والقصة .

(٣) الأغاني ج ١٠ ص ٢٦٨ .

ليخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبي[1] لقتال الشراة[2] . فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لوأن تحتي فرسك ومعي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ، ولآخذنك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إلي ، ودعا بغيرها فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشدته :

إن استجرتك أن أقدم في الوغى ... لتطاعني وتنازل وضراب
فهب السيوف وأبها مشهورة ... فتركتها ومضيت في المرهاب
ماذا تقول لما يجيء وما يرى ... من واردات الموت في النشاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : أخرج إليه يا أبا دلامة . فقلت : أنشدك الله أيها الأمير في دمي . قال : والله لتخرجن . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شبعت مني جارحة من الجوع ، فمر لي بشيء آكله ثم أخرج . فأمر لي برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت من الصف . فلما رآني الشاري أقبل نحوي عليه فرو وقد أصابه المطر قابتل ، وأصابته الشمس فاقمل[3] وعيناه تقدان ، فأسرع إلي . فقلت له : على رسلك يا هنا كما أنت ، فوقف . فقلت : أتقتل من لا يقاتلك ؟ قال : لا . قلت : أتقتل رجلاً على دينك ؟ قال : لا . قلت أفتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقاتله إلى دينك ؟ قال : لا ، فاذهب عني إلى لعنة الله : قلت لا أفعل أو تسمع مني . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قط عداوة أو ترة ، أو تعرفني بحال تحفظك علي ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وتراً ؟ قال : لا والله . قلت : ولا أنا ، والله لا أحفظك الإجميل الرأي ، وإني لأهواك وأنتحل مذهبك وأدين دينك وأريد السوء لمن أراده لك . قال : يا هذا جزاك الله خيراً فانصرف . قلت : إن معي زاداً أحب أن آكله معك وأحب مؤاكلتك لتتوكد المودة بيننا ، ويرى أهل العسكر هوانهم علينا . قال : فافعل . فتقدمت إليه حتى اختلف أعناق دوابنا وجعلنا أرجلنا على

(١) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، ولي أفريقية والمصرة وغيرها ، وكان جليلا شجاعاً جواداً

(٢) الشراة : الخوارج (٣) واقمل : تقمل

معارفها والناس قد غلبوا ضحكا . فلما استوفينا ودعني . ثم قلت له : إن هذا الجاهل أن أقمت على طلب المبارزة ندبني إليك فتتعبني وتتعب ؛ فإن رأيت ألا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلت . ثم انصرف وانصرفت . فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرني ، فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك ، فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البراز ، فقال لي : اخرج إليه ، فقلت:

إني أعوذ بروح أن يقدمني ... إلى البراز فتخزى بي بنو أسد
إن البراز إلى الأقران أعلمه ... مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها ... وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
إن المهلب حب الموت أورثكم ... وما ورثت اختيار الموت من أحد
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها ... لكنها خلقت فرداً فلم أجد

فضحك وأعفاني[1]

فأبو دلامة يعترف هنا بجبنه ، بل يصفه فيبدع في وصفه ! وكأنه لا يجد فيه غضاضة ، أو يريد بذكر قصته ما يريده أمثاله من الظرفاء من إضحاك الناس ولو اتهموا أنفسهم بما لا يرضاه مخلوق لنفسه . والجبن خلق قديم في طبع أبي دلامة ، فهو حتى في أيام شبابه — والشباب زمن الفحور والحماسة — كان لا يخجل من الفرار من الأقران . وإليك اعترافه بذلك في هذه القصة :

كنت في عسكر مروان[2] أيام زحف إلى شيبان الخارجي . فلما التقى الزحفان خرج منهم رجل فنادى : من يبارز ! فلم يخرج إليه أحد إلا أعجله ولم ينهنهه[3] فناط ذلك مروان وجعل يهيب الناس على خساسة ، فقتل أصحاب الخساسة ، فزاد مروان ونبههم على ألف ، ولم يزل يزيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم . وكان تحتي فرس لا أخاف خونه ؛ فلما سمعت بالخمسة آلاف[4] ترقبته واقتحمت الصف . فلما نظرني الخارجي علم أني خرجت للطمع ، فأقبل إلي متهيئاً وإذا عليه فرو قد أصابه المطر قابتل ، ثم أصابته الشمس فاقمل ، وإذا عيناه تقدان كأنها من فورها في وقبين . فلما دنا مني أنشأ يقول :

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٤٣ — وتجد الأبيات أيضاً في معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦٧ — كما تجدها في وفيات الأعيان لابن خلكان مع اختلاف يسير في اللفظ واختصار في القصة .

(٢) يعني آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد .

(٣) نهنهه : كفه وزجره . وسياق الكلام يقتضي أن يكون (ولم يمهله)

(٤) أشرنا من قبل إلى أن هذه لغة ضبة ، وأن الأفصح : (خمسة آلاف) .

وخارج أخرجه حبُّ الطمعْ فرَّ من الموت وفى الموت وقع
من كان ينوى أهله فلا رجَعْ

فلما وقرت فى أذنى انصرفت عنه هارباً . وجعل مروان يقول : من هذا الفاضح ؟ أتونى به ، فدخلت فى غمار الناس فنجوت[1] .

فهذه القصة التى يرويها أبو دلامة عن نفسه كانت فى أيام شبابه لأنه لم يجاوز عهد الشباب حتى أواخر الخلافة الأموية ، ففيها دليل أقوى على جبنه وخوفه . وقد تتم فيها رائحة الوضع لأنَّ فيها سِيَناً وأوصافاً تقارب ما فى القصة السابقة مع روح المهلبى ، حين صور الخارجى المبارز بأن « عليه فروا قد أصابه المطر فابتل ، وأصابته الشمس فاقفعل ، وعيناه تقدان ... » الخ . ويمكننا القول بأن الحادثة قد تعمدت على هذه الصورة مصادفة ، أو أن أبا دلامة أعجبته هذه الأوصاف التى صوَّر بها مبارزه فى المرة الأولى فأعادها فى وصف مبارزه الثانى ليبرر موقفه فى هربه أو فزعه من هذا المنظر الذى يملأ قلوب الجبناء رعباً .

ونحن — على كل حال — لا نريد أن نمق كثيراً من أخبار أبى دلامة من ضعف الرواية ، فقد لاحظنا بعض التضارب فى قصصه ، إذ رأينا مثلاً أن الخيزران هى التى وعدته جارية فاستنجزها بشعر ، مع أننا نجد فى الأغانى (ص ٢٦٨ ج ١٠) أن ريطة هى التى وعدته ، ورأينا أن أبا دلامة طلب من السفاح كلب صيد ثم يتبرج فى الطلب إلى أشياء كثيرة ، مع أننا نجد الجاحظ يروى القصة على أنها فى زمن المنصور لا السفاح ، ورأينا أبا دلامة يهاجى السفاح فيقطعه خمسمائة ألف جريب فارسة على حين أننا نجده فى موضع آخر قد أقطع أمثالها مازحاً المنصور — واقتحمنا هناك لمح التضارب علة لعلها غير مقبولة — لكن هذا كله لا يمنعنا من قبول أخبار أبى دلامة — على ما فيها من ضعف فى الرواية — لأننا نجزم بأن مثل هذا الظريف لا بد من الزيادة فى نوادره ، والمبالغة فى دعاباته . ومن المعروف أن الرجل إذا اشتهر بالظرف نسب إليه الناس كثيراً مما يستظرفون عمداً أو عفواً ؛ بل إن الظرفاء أنفسهم كثيراً ما نجدون رغبة فى اختلاق الروايات المضحكة وابتكار الأخبار المدهشة التى تدل على خيال خصيب ، وذكاء عجيب ، وتدل فى الوقت نفسه على ميل إلى إرضاء السامعين والظفر بإعجابهم ...

(١) الأغانى ج ١٠ ص ٢٤٥

ومن هنا لن نعجب إذا وجدنا فى ترجمة أبى دلامة فى كتاب (شذرات الذهب) : « إنه مطعون فيه ، وليست له رواية » ولن نعجب إذا قال مثل ذلك الحافظ الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد والحافظ ابن حجر العسقلانى فى (لسان الميزان) .

وهكذا شابه أبو دلامة أبا العيناء الذى سبق أن كتبنا عنه فى الرسالة[1] فى الطعن فى روايته وعدم الثقة بأخباره . والفرق بين الظريفين من هذه الناحية أن أبا العيناء كان أحياناً ما يروى السنة فكان ضرورياً أن يطيل الحفاظ فى بيان ضعفه تحذيراً منه بينما اكتفى أبو دلامة برواية أخباره ووصف نوادره التى تضحك الثكلى .

هذا هو الفرق بينهما من ناحية الرواية ، وأما من حيث الشخصية فإننا نرى أن قد كان لأبى العيناء نوع من الفلسفة الخاصة فى هذه الحياة ، فقد كان ممتازاً بنفسه إلى أبعد الحدود ، يرى أن الله قد منعه عن عماه لساناً سليطاً وشعراً متيناً وذكاء نادراً ، بينما نرى أن أبا دلامة كان يعيش على هامش الحياة عيشة لاهية ، فكثيراً ما كان يحقر نفسه ويذل كرامته ليضحك سواه رغباً فى عرض أدنى يناله . ثم إن أبا العيناء كان ينتقد مجتمعه ويتهكم بأهل زمنه تهكماً يدل على أن الألم كان يعصر قلبه على حين كان أبو دلامة لا ينتقد عيباً ولا يكاد يتألم من شىء ، وإنما كان يعيش عيشة فردية همه فيها إرضاء شهواته ، وبلوغ مآربه .

ولا شك أن رقة الدين ورداءة المذهب وارتكاب المحارم وتضييع الفروض والمجاهرة بالاثم — من الأوصاف التى توشك أن تجعل من الظريفين شخصاً واحداً لشدة التشابه بينهما فيها . ولا ينتظر الناس من ظريف يضحكهم أن يكون ملاكاً أو قديساً ، فإذا كان بعض القدامى قد صرح بأن (أعذب الشعر أكذبه) فإن كثيراً من المحدثين لا يعجزهم أن يزيدوا على ذلك (وأعذب الدعابة أكثرها فضحاً من المستور ، وكشفاً للمحجوب) .

والظريف فى أبى دلامة — وما رأيت فيه إلا ظريفاً — أنه عاش حياته كلها ضاحك السن لا يتألم ولا يبكى ، ثم مات سنة إحدى وستين ومائة وهو ما زال ضاحكا لا يتألم ولا يبكى !

فهل كتب الظريف عهداً على نفسه ليضحكن مدى الحياة ؟ لعله فعل ... فما أكثر شذوذ الظرفاء !

صبحى إبراهيم الصالح

(١) الأعداد ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ من الرسالة .

أساليب التفكير :

فلسفة الشعب

للأستاذ عبد المنعم الميلجي

— ٢ —

يقول حكيم الشعب : « اعمل خيراً وارمه فى البحر » . فما ذا يعنى عليه هذا القول ؟ إنه يرى فناء كل حى ، وزوال كل نعمة ، وضياع كل مجد ؛ ويرى إلى ذلك أن ذكرى العمل الصالح تبقى حية فى الأذهان والقلوب والضمائر ، وأن افعل الخير خلاوة تجعل منه غاية جديرة بأن تُطلب لذاتها وكفيلة وحدها أن تحقق السعادة فى نظره ليست فى جاه نهلنه ، أو صيت نذيعه ، أو مال نصيبه ، إنما هو فى راحة الضمير وهدوء النفس ، ولا سبيل إلى ذلك بغير سلامة النية وصفاء الطوية وهما لا يتفقان مع طلب الخير لغير الخير . إعمل خيراً وألق به فى البحر ، وترقب السعادة بعد ذلك تأتيك طوعاً من حيث لا تدرى ولا تحتسب .

أيختلف هذا الاتجاه المثالى فى شىء عن اتجاه الشاعر الفيلسوف « جوته » فى قصة « فاوست » ؟ . لقد جاهد فاوست جهاداً طويلا مريراً دون أن يظفر بشىء ، ولكن حياته لم تضع هدراً إذ رفعه المؤلف إلى جنات ربه ، وما ذلك إلا لأنه قد أحس بالحق والخير والجمال فجاهد فى سبيلها وكان فى جهاده هذا خلاصه . نعم إن معنى تلك الحياة والأثر الذى خلفته خطى فاوست على صفحات الزمن هو أنه علينا أن نذأب ما استطعنا فى سبيل المثل العليا ، وسيان بعد ذلك أأصبنا نجاحاً أم إخفاقاً ، فالجهاد نبل فى ذاته »[1] . ذلك هو الاتجاه الفلسفى الذى تنطوى عليه قصة فاوست وهو نفسه الاتجاه الذى تنطوى عليه عبارة حكيم الشعب « اعمل خيراً وألق به فى البحر » . أى هدوء تحس به النفوس الخيرة إذ تتمثل هذا الدرس فتتالب بقوته السحرية تيار الجشع والاستهتار . حقاً إن الفلسفة الشعبية الساذجة لتساهم مع الفن والدين فى التخفيف من أعباء الحياة .

وبعد ، أليس ما ذهب إليه الشعب فى حكمته أو « جوته » فى قصته ، من اعتبار الخير غاية تُقصد لذاتها ، هو فى جوهره عين ما ذهب إليه الفيلسوف الألمانى العظيم « عمانوئيل كنط » فى مذهبه الأخلاقى الذى يرى أن الخير الأسمى الذى يتعين علينا أن نخضع له هو « الواجب » المجرد الذى يمليه علينا « أمر مطلق » يصدر من تلك القوة الذاتية الخفية التى ندعوها « الضمير » ، تلك القوة التى تعتبر صورة الله فى نفوسنا ، فالله فى الأبدية والضمير فى أعماق النفس البشرية ؟ إن السعادة فى نظر كنط إنما هى فى الخضوع للأمر المطلق الصادر من الضمير ، والعمل الواجب لذاته وأمر يتفق تماماً مع ما ذهب إليه كل من جوته والحكيم الشعبى ...

ويعرض أرسطو لنفس المسألة فيحصر الخيرات فى ثلاثة : إما اللذة ، وإما المجد ، وإما الحكمة . ويُعمل عقله أيها يختار على اعتبار أنه الخير الأسمى ؟ فيرى اللذة شعوراً نفسياً يصاحب فعلا من الأفعال أو وظيفة من الوظائف ، وعليه فلا يمكن أن تكون غاية فى ذاتها ؛ وإنما هى عرض يزول بانتهاء العمل أو الوظيفة ، ويرى المجد المال نصيبه ، أو شهوة نالها ، أو تكريم نحصل عليه ، فليس المجد هو الغاية القصوى ، إنما الغاية المال أو الشهوة أو التكريم . وهكذا تنتهى فلسفة أرسطو الأخلاقية إلى اعتبار الحكمة هى الخير الأسمى الذى ينبغى أن نطلبه ونعمل وفقاً له ، وما الحكمة إلا تغلب قوى العقل على قوى الحس ، وتفضيل السعادة القائمة على اللذات المؤقتة ، ونشدان الاتزان النفسى وراحة الضمير — وهل لأحدهما أو كليهما أن يتحقق ما لم « نعمل الخير ونلقه فى البحر » كما يعمل الحكيم الشعبى ، وما لم « نذأب ما استطعنا فى سبيل المثل العليا » كما فعل « فاوست » ، وما لم نصغ لصوت الضمير الكامن فى أعماق نفوسنا شأن « عمانوئيل كنط » ؟!

فهم السعادة :

حاول الأستاذ الزيات أن يسأل قروية ساذجة : « كيف ترضى بالحياة وهى قصيرة ، وتبتسم للدنيا وهى سهوكة » ؟ فأجابت : « الماء فى الكوز والعيش مخبوز » . ثم مضى أستاذنا يحاورها

(١) نماذج بشرية تأليف الدكتور محمد مندور .

حتى ينتزع من فمها درساً غالياً في فن السعادة . قالت أم عامر :

« نشأت كما تنشأ الفروبات الفقيرات ، على التلول كالدجاج وأنا طفلة ، وبين الحقول كالذئاب وأنا صبية ؛ آكل العشب وأستمرئه ، وأشرب الكدر وأستسيغه ، وألبس الخشن وأستلينه ، وأفترش المدر وأستوطئه ، وأعالج الصعب وأستسهله . والذي أحلى المر في فمي ، وجمّل القبيح في عيني ، وألان الغليظ لجانبي : صحة كصحة الظبي الشادن لم تجنح يوماً لراحة ، ولم تحتج يوماً إلى دواء ؛ ومرانة على عنف الطبيعة لا تفرق طاقتها بين صيف وشتاء ، ولا بين صيف وشتاء ؛ ونفس راضية تقنع بميسور العيش وتخضع لمكتوب القضاء ... »[1] .

لقد استطاعت صاحبتنا بمجهود ذاتي أن تقتصر على أقسى ظروف الحياة وتنعم بالرضا والهدوء ، ذلك أنها « مرنت على عنف الطبيعة ، وقنعت بميسور العيش ، وخضعت لمكتوب القضاء . » هي إذن ببصيرة نافذة وملكة الحكم السليم ترى السعادة أمراً شخصياً وليس رهناً بالظروف الخارجية ، هي شأن من شئون الذات بمقدور كل إنسان أن يحققها على رغم قسوة الظروف الخارجية .

تلك فلسفة نستشفها من ثنايا العبارات الصادقة على سذاجتها يفوه بها نفر من البسطاء وهي لا تفترق في جوهرها عن فلسفة الرواقيين التي سادت الفكر اليوناني في القرن الرابع قبل الميلاد وسيطرت على العقلية الرومانية بعد ذلك ، وكان لها آثار فعال في الفلسفة المسيحية ، وتقترب هذه الفلسفة من الفلسفة البوذية . عرض لجميع هؤلاء سؤال واحد : « كيف السبيل إلى السعادة رغم قساوة الظروف الخارجية ، وهل يمكن بلوغها مع ذلك ؟ » واتفق الجميع على إمكان الوصول إلى السعادة رغم قساوة الظروف ورسموا طريقاً واحدة ، وجاء تعريفهم للسعادة واحداً في معناه رغم اختلاف الألفاظ . فقالت أم عامر : هي « مرانة على عنف الطبيعة ونفس راضية تقنع بميسور العيش وتخضع لمكتوب القضاء . » وقال الرواقي : هي أن تمتلك نفسك امتلاكا حراً ، وتتحرر النفس من قيود الظروف الخارجية ، وتخضع إرادتك الجزئية لإرادة الكون الكلية ، تلك الإرادة الكلية الخيرة النيرة في أرجاء الكون جميعاً . » وقال البوذي : « هي أن تعرف كل شيء ، وتفهم كل شيء . تنطلق من عبء الحدث وعبء الوجود ، لا تشعر بأية حاجة ، تسافر منفرداً لا يعنيك اللوم ولا المديح ، تقود الثور ولا يقودك أحد .

رعوة مخلصة :

قد يعجب البعض كيف أقارن بين الحكمة الشعبية وبين المذاهب الفلسفية الكبرى ، وقد يرى بعض المهتمين بالدراسات الفلسفية من القحة والتهجم على قدسية الفلسفة أن أحاول التقريب في مجال الأخلاق بين الحكمة الشعبية وبين المذاهب الفلسفية الكبرى . فهؤلاء أؤكد أن بذور التفكير الفلسفي مغروسة في جميع العقول تقضي عليها لدى البعض ظروف معينة ، وتنميها لدى آخرين ظروف مواتية . ليست الفلسفة ركاماً من المعارف المختزنة ، إنما هي اتجاه فكري ، إحساس بمشكلة تعترض الذهن وتأملها تأملا حراً بغية الاهتداء إلى سرها من طريق العقل والمنطق . وإذا فهمت الفلسفة على هذا النحو قرّ في نفوسنا أن الواجب يقضي علينا أن نتعمق حياة العامة ونتوسم في حكمهم السائرة ، وتجميل البصر في كتب الشعراء والأدباء ، لنبرز بدايات التفكير الفلسفي . ويقضي علينا أيضاً أن نكشف عن بساطة المذاهب الفلسفية وكيف أنها تنبع على نحو طبيعي من نفس المنابع التي تنبع منها الحكم الشعبية مع فرق في درجة الإتقان والتوفيق . حينئذ يتحقق الوئام بين الحكمة الشعبية والفلسفة المذهبية برفعنا من مقام الأولى وردنا الحياة إلى الثانية ، وتنسيج عقول العامة وعقول المباقرة في وحدة فكرية نبيلة لا تنفصم عراها .

تلك رسالتي أدعو إليها بكل ما أوتيت من قوة ، وأجهد في سبيلها حتى تتلاشى الحواجز الصناعية التي يقيمها نفر من المثقفين . وأؤكد لهؤلاء أن أعقد المذاهب الفلسفية لا يفهم بفهم الألفاظ التي تنقله إلينا ، ولكن تفهم المنهب عند ما تلمس المشكلة التي اعترضت ذهن صاحبه وتتمثل الكفاح الفكري الذي قام به حتى توصّل إلى حل المشكلة وتفسيرها بمذهبه ، أي عند ما تعيش اللحظات الفكرية التي عاشها حينئذ تكتشف أن المشكلة ذاتها قد تعترض أي ذهن ، حتى ليمكننا في أحوال كثيرة أن نوفق في

---

(١) « قروة فيلسوفة » مقالان للأستاذ الزيات بالعددين ٨١٣ ، ٨١٤ من الرسالة .
٢٢ ، ٣٣

رد بعض المذاهب الكبرى إلى أصول في الحكمة الشعبية . إن الفلسفة حركة فكرية طبيعية قبل أن تكون معرضاً انظيماً لمصطلحات مبتسرة ، وهي بهذا المعنى بسيطة كما رآها ديكارت وغير واحد من فلاسفة الفرنسيين .

وفيما أنا مشغول بالتفكير في هذه المحاولة ، أقرأ رسالة صغيرة أهداها إلينا أستاذنا الدكتور عثمان أمين [1] يحلل فيها خصائص العقلية الفرنسية ، إذا بي أجد ما يؤيد محاولتي . وكم كان سروري عظيما عند ما بلغت قوله : « ليست عبقرية الفلاسفة والمفكرين الفرنسيين إلا كمال ذلك المعنى الذي نجده متحلياً عند فلاحي فرنسا ملموساً في أعمالهم اليومية . »[2] وعند ما ورد مع « برجسون » « ليس هنالك فكرة فلسفية مهما يكن حظها من العمق والدقة إلا ويستطاع — بل يحسن — التعبير عنها بلغة الناس المتداولة البسيطة . » ومع « بوالو » :

« إن ما أجد تصوره استطعنا أن نعبر عنه تعبيراً واضحاً ، وجاءتنا الألفاظ عنه طائعة مختارة . » وعند ما علق على قول برجسون وبوالو بعبارة ساخرة تحفزني إلى المضي في طريق وتعتبر خير سند لفكرة التقريب بين عقول الفلاسفة وعقول المستنيرين من البشر : « ليست كل المياه اللوثة بالطين مياهاً عميقة ، ولا كل المياه الصافية مياهاً سطحية » . [3]

لست إذن أدعو إلى المستحيل ، ولا أنا أطلب بدعاً ، فالفلاسفة الفرنسيون أنفسهم مهدوا السبيل أمامنا فلم يشحنوا مؤلفاتهم بتلك المصطلحات الفنية التي تعتبر ستاراً سميكاً يحول بين الكثيرين وبين فهمها ، بل عرضوا أفكارهم في بساطة ووضوح ، ولم يعمدوا إلى غموض هو كما قال برجسون : « في منزلة القناع يلقيه المؤلف على فكر لم يوفق بعد إلى أن يستبين ذاته تمام الاستبانة . » وتوجهوا بفلسفتهم إلى الجمهور كله بل إلى الإنسانية جمعاء ؛ ذلك أن الفلسفة في رأيهم حق للبشر جميعاً ، وليست امتيازاً لطبقة على أخرى . وعلى بيان ذلك في العدد القادم إن شاء الله .

(الاسكندرية) عبد المنعم الليثي

(١) خصائص الروح الفرنسي
(٢) صفحة ١٦
(٣) صفحة ١٠

دخـــان ولهب

للأستاذ إبراهيم الوائلي

لا تخلها — وهي تذكو شعلاً — بيت كرم إنها كانت ضراما
كلما أفرغتها في كبدي غادرتها بين أضلاعي حطاما

قد عصرت الروح في الكأس ومن
قلبي الشعوب ذوبت الحبـــب
وجعلت اللحن في صدري أسى فإذا اللحن دخان ولهب
وترامت على وقد الجوى مثلما يلقى على النار الحطب
أراني — ولقـــد ودعت أمسي
ودفنت اللحن في ظلمة يأسي —
أبعث الأنغام أو تندب كأسي ؟

لا وعينيك فما غيري سوى قطرات لم تكن إلا ضراما
وغناء لم يكن إلا صدى لرنين صيّر القلب حطاما

يا حبيبي إنّ لحناً مرّ في شفتي بالأمس قد عاد خيالا
وربيعاً كان مفتان الرؤى لا أرى منه على السفح ظلالا
وغديراً كم بثغناء الهوى كفنته الريح شوكاً ورمالا
أراني — ولقد بات نشيدي
همسة ترقد في الماضي البعيد
أجتني الحسرة على رنة عودي

لا وعينيك فما لحني سوى قطع بثغرها الصدر ضراما
وشعاع الكأس ما كان سوى لهب قد صيّر القلبَ حطاما

إيه يا أيامي اللائي مضتْ وتلاشتْ في زوايا الأبد
هل يعود اللحن مرنان الصدى وتمسُّ القدح المذهب يدي ؟
كلما قلتُ : ستخبو جذوة أيقظتها أختها في خفقتي
آه ما كأسي ، ما عودي وفنّي
غير أحلام توارتْ خلف دجن
يا حبيبي لا تسلني أينَ لحني ؟

إنّ أنغامي في ليل الأسى لم تكنْ إلا دُخاناً ولهبا
وبقايا الكأس ما كانت سوى حرق صيّرتِ القلبَ حطاما

ابراهيم الوائلي

غب النوى ...

للآنسة الفاضلة (المطوقة)

مضيتَ ؟ إلى أين ؟ هلاَّ تعود ... إليَّ ، إلى روحيَ اللائبِ
حنانك ، ضقتُ ، وضاقت حياتي ... بهذا الصدى الهرق الالهب
بأشواق العانيات تزلزل صدري في عتمها الصاخب
حنانك ، قلبي يذوب وراءك ، أواه من قلبي القائب
تلفَّتُّ ، وراعٍ بقاياه تذوي ... وتفنى مع الأمل الغارب

مضيتَ ؟ وكيف ؟ ألا رجعة ... ترد إلى القلب دنيا رؤاه ؟
لقد اقفر الكون في ناظريَّ ... وغشى الظلام جمال ضياه
وكيف أحسى جمالَ الوجود ... ووجهك عني توارى سناه
فما أقبح العيش يا موحشي ... ويا أشد سواد الحياه
وأنت بعيد بعيد هناك ... وقلبي وحيد يعاني أساه

مضيتَ ؟ فيا لحنيني إليك ... وواهاً لأمسي القريب البعيدِ
زمان أمرِّ بدرب الكروم ... وللدرب نفح جنانِ الخلود
ويشرد طرفي ويطوي المدى ... ولقياك غاية طرفي الشرود
وفي القلب نار جموح الوقود ... ينادي بها الشوق : يا نار زيدي
وطرفي قرير بذاك الشرود ... وقلبي سعيد بذاك الوقود

وبغتاني وقع خطو بعيد ... ورائيَ ، أصغي إليه طويلا
ويهتف قلبيَ : هذي خطاه ... أرى في سناها عليه دليلا
خطى السنفوان، خطى الكبرياء ... تئم عليه عظيماً نبيلا
وتختطف الروحَ فيبوبةٌ ... وقد رحتَ تدنو قليلاً قليلا
وأغرق في حلم ساحرٍ ... أسائل حياتي فناً جميلا

وفي غمرات الذهول العميق ... تطالعني القامة الفارعه
فأشخص ، ثم أغضُّ حياء ... وأكسر من لهفتي الجائعه
وأبدي جمودَ الخليِّ كأن لم ... ترج دمي الطفلة الرائعه
وتحت جمودي اضطراب عصوف ... أداريه منفضةً وادعه
وتحت جمودي من العاطفات ... أعاصير جارفة دافعه

وتنهب عيناك وجهي وقد ... عرا مهجتي منهما ما عرا
فيمحى بعينيَّ كلُّ الوجود ... ويمحى بعينيَّ كلُّ الورى
وما لفتة النسر يا فتنتي ... تطلع من عاليات الذُّرى
وسلَّط لحظاً على إنسيه ... عنيفَ التوقد ، مستكبرا
يأروع منك وعيناك فيَّ ... أوارٌ تلظى وسحر سري

وتمضي ، وأمضي مع الدابرين ... وما بيننا غير نجوى النظر
وطيف ابتسام على شفتيك ... وموجُ هيام بسمق استمر
وقد هبط الليل حلوَ الغموض ... خلوبَ الرؤى، عبقريَّ الصور
وماجت مع الريح خضر الكروم ... مشمشمةً بضياء القمر
وفاض الوجود شعوراً وشعراً ... وذاب من الوجد حتى الحجرا

سل الدرب كم جئت درب النوى
أجرُّ الخطى في الغروب الحزينْ
وحولي من الذكريات الخوالي ... طيوف تثير لهيب الحنين
أخاف تبكرُ عليها الليالي ... وتدفن تحت ركام السنين
فيبسط قلبي جناحيَّ هواه ... عليها ويحنو حنوَّ الضنين
وأنت بأعماق روحي صلاة ... يسبح باسمك روحي الأمين

مضيت ؟ إلى أين ؟ هلاَّ تعود ... لروحي اللهيف ، لقلبي الغريب ؟
توحدتُ بعدك يا موحشي ... على الدرب ، درب الكروم الجديب
أسير إلى غير ما غاية ... وكفي على جرح قلبي المخضب
وفي مقلتيَّ غيوم حزاني ... وفوق جبيني وجوم كئيب
وصمتك في خاطري ما ثل ... يهيج الحنين ويذكي اللهيب

إلى أين ؟ رحماك يا ابن الصحارى ... وبرد ظماء الفؤاد الصديْ
فما رمال عطاشى تمنَّتكَ ... كهذا الظليل الملح العنيد
إلى أين ؟ يا لك طيفاً ألمَّ ... وعانق روحي بحلم سعيد
ويا لك وهْمَ سراب تألق ... في قفر عمري لقلبي الشريد
حنانك ، عد ، كيف أحيا الحياةَ ... وأنت هناك بعيد ، بعيد

(المطوقة)

تعقيبات

الأستاذ أنور المعداوي

« تحت المبضع » للأديب السوري محمد روحي فيصل :

كتاب في بضع وثمانين صفحة ، ولكنه يقدم صاحبه خير تقديم . يقدمه في معرض النقد الأدبي حين يكون للذوق المرهف أثره الملحوظ في اللمحة الفنية التي تفضي عن لمحات ، وفي اللمحة الفكرية التي تهدي إلى لمحات ... أما الكتاب ، فهو « تحت المبضع » ، وأما الكاتب فهو الأستاذ محمد روحي فيصل رئيس تحرير الرابطة الأدبية في « حمص » .

وبعد كلمات يجب أن أقولها قبل أن أقدم للأستاذ روحي فيصل [illegible] عليه ، وقبل أن أضع مبضعه تحت المبضع ، فأقف معه هنا ، وأختلف معه حيناً آخر ... ولا بأس أبداً من أن نلتقي هنا لنفترق هناك ، ما دامت السطور الأولى من هذه الكلمة النقدية تحمل إلى القراء حكماً صادقاً وأخيراً على شخصية الكاتب وما كتب !

في هذا الكتاب فصول أفردت لنقد الشعر والنثر ممثلين في شهريارين : الملاء ... وزهرة أخرى تعود إلى فيلسوف المرة لننظر فيما قاله الأستاذ روحي فيصل عن هؤلاء الذين اشتركوا في إحياء ذكراه ، وبخاصة تلك النخبة من الشعراء أمثال الأساتذة : عمر أبي ريشة ، وبدوي الجبل ، وشفيق جبري ، ومحمد البزم ، ومهدي الجواهري ... شعراء خمسة تقدم كل منهم إلى المهرجان بأبيات من الشعر تفاوتت في سبحات الخيال ورفرفات الجناح ، وكاتب يقف منهم جميعاً موقف العارض في أناة ، المحلل في أناة ، الناقد في ثقة واحتشاد .

أول شيء أود أن أشير إليه هو تلك الكوى الفكرية التي أطلت منها رءوس الشعراء والناثرين لتنفذ إلى أغوار الشخصية الملائية ... بما فا خرجت تلك الرءوس من ذلك الفكر المسجى على فراش الآجال والصور ؟ أكاد أقول لا شيء ! ... لا شيء غير تلك القصة المكررة التي ترويها كتب القصاص والمحدثين ، ولا شيء غير ذلك « الفلم » الذي تعرض مناظره على « شاشة » الشعر والنثر دون أن تتجدد الزوايا العديدة في الصور النفسية ، وكأن أبا الملاء على كثرة « المخرجين » و « المصورين » نسخة واحدة أبرز فصولها مخرج واحد ، والتقط مشاهدها مصور واحد ، وكأني كنت أمد عيني إلى مهرجان أبي الملاء ، وأرهف سمعي إلى ما يقال عنه يوم أن قلت في عدد مضى من « الرسالة » : « لو قال الباحثون عن أبي الملاء إنه إنسان قلق لعبروا عن الواقع أدق التعبير ، ولأحاطوا بكل جانب من جوانب شخصيته بهذه الكلمة الواحدة ، ولكنهم ركزوا كل عنايتهم في جانب واحد انتهوا منه إلى حكم عام ما لبث أن استقر في الأذهان ، واطمأنت إليه النفوس ؛ هذا الحكم العام محوره « التشاؤم » في شخصية الرجل وفي فلسفته على حد سواء ! ... من الخطأ في رأيي أن ينسب الباحثون أبا الملاء إلى نزعة نفسية بعينها ليتفرد بها وليقف عندها لا يكاد يتعداها إلى غيرها من النزعات ؛ ذلك لأن أبا الملاء قد مال إلى التفاؤل كما مال إلى التشاؤم ، ونصح بالإقبال على الحياة — كما نصح بالإعراض عن الحياة ، وآمن بالبعث كما أنكر إمكانه بهذا البعث ، وأوصى بالزهد في نعيم الدنيا كما أوصى بالإغراق في هذا النعيم ، ونادى بفكرة الزواج والنسل ، كما نادى بنبذ هذه الفكرة مقدماً من نفسه مثالاً لهذا الحرمان ! ... أبو الملاء إذن لم تكن له « لاخة » واحدة « يلتن » فيها عن رأي واحد تتميز به شخصيته الفلسفية والإنسانية ، ولكنه كان أشبه بالتاجر الذي يلتن كل يوم عن « صنف » جديد من أصناف « بضاعته » عقب وروده بلحظات ؛ وكل تلك السطور المتناقضة يمكنك أن تضمها تحت عنوان كبير مكون من كلمة واحدة واحدة هي : القلق » !

ولقد فسرت هذا القلق على ضوء علم النفس الأدبي تفسيراً جديداً ، حيث قلت بعد كلام طويل في هذا المجال : « الفراغ في حياة أبي الملاء ، ولا شيء غير الفراغ ، وعلى هديه نلتمس العلة الأصيلة لتلك الذبذبة النفسية ممثلة في هذه الذبذبة الفكرية ... ولنا بعد ذلك أن نسأل : أي لون من ألوان الفراغ كان يشكو أبو الملاء ؟ إنها ثلاثة ألوان : فراغ النفس ، وفراغ القلب ، وفراغ الجسد ... وذلك أن زودها جميعاً إلى الحرمان ، فنفس

أبي العلاء كانت تشكو الحرمان من العطف ، وقلب أبي العلاء كان يشكو الحرمان من العاطفة ، وجسد أبي العلاء كان يشكو الحرمان من المرأة ... وقفٌ طويلا عند هذا الحرمان الأخير ، فهو مصدر الحرمان كله ، ومركز الفراغ كله ، وعلة هذا القلق الذي وجه أبا العلاء ألف وجهة ، وحيره بين ألف رأي وعقيدة ، وقذف بعقله إلى ألف درب من دروب الفكر ، حيث يتجلى التناقض والتضارب والاختلاف ! هذا الجدب العاطفي في القلب الإنساني ، وهذا الكبت الطويل العنيف للغريزة الجنسية ، هما في رأيي — ولا شيء غيرهما — مركبا النقص الخطيران في شخصية أبي العلاء ، ولا حاجة بنا إلى الحديث عن مركب النقص وأثره في توجيه العقول والأفكار » ! !

قلت هذا بعد أن عرضت لآراء الباحثين ممن وقفوا عند الآفة الجسمية في حياة أبي العلاء مفسرين على ضوئها معالم الاضطراب في نظراته وآرائه ... فليرجع القراء إلى ما قلت ، لأن تلك السطور التي نقلتها هنا لا تتنبهم عن البحث كاملا مرتبط الفصول متماسك الأجزاء ، مسلسل الحلقات ، بين النتائج والمقدمات ... تلته بالأمس ، وأعود اليوم فأذكّر به ، لأن الأستاذ روحي فيصل يتفق معي في أن خطباء المهرجان لم يأتوا بجديد حين يقول في مقدمة كتابه : « فأما إن أبا العلاء المعري نفسه قد استبان لنا على غير ما كنا نعرف من صورته ، فذلك لا يقوله أديب له شيء من مشاركة في فهم الأدب على العموم ، وفي فهم الأدب العربي على الخصوص . فما شع من هذا المهرجان الذي اقتضى ضوء نظرية جديدة من شأنها أن تنير ناحية من أبي العلاء كانت مجهولة أو مظلمة ، ولا انبثق عرض شامل ينظم هذا الرجل الكبير في شتى مجاليه » !

وأقف هنا وقفة قصيرة لأهمس في أذن الأستاذ فيصل قائلا له : لقد كنت أرجو ألا يكون ناقداً فحسب ، وإنما كنت أرجو أن يكون ناقداً وباحثاً في وقت معاً ... أعني أنني كنت أود ، وقد أشار إلى هذا الاجترار الممل فيما قيل عن أبي العلاء ، أن يحاول هو من جانبه أن يضع شخصية الرجل تحت المجهر عسى أن يخرج من دراسته بنظرات جديدة . ولكن الأستاذ فيصل قد ترك أبا العلاء إلى هؤلاء الذين تحدثوا عنه من الكتاب والشعراء ، مقتصراً على الإشارة العابرة إلى كلمات الفريق الأول ، والنقد المفصل لقصائد الفريق الأخير !

وأنتقل بعد هذه اللفتة إلى الفصول النقدية الخمسة التي أفردها الأستاذ فيصل لشعر أبي ريشه والجبل وجبري والبزم والجواهري .

في تلك الفصول لمسات تنبئ في الكثير الغالب عن سلامة التقويم ، ونزاهة التقدير ، وعرض موفق للشخصية الأدبية على مدار الحقل الشعري واتساع مداه ... هناك حيث تبحث من معدن الملكة الناقدة فيشع في اللحة الفنية التي تنبئ عنها كما قلت لك — من لمحات ، وفي اللمسة الفكرية التي تهدي إلى بلمات .. انظر مثلا إلى هذين البيتين من قصيدة بدوي الجبل حول مشكلة الآفة الجسمية في حياة أبي العلاء ، واحكم — بعد ذلك — على الذوق الأدبي عند روحي فيصل :

من راح يحمل في جوانحه الضحى ... هانت عليه أشعة المصباح
وجلا للعين من الظلام فانتحى ... عن النفوس لعجة وصياح

« فاقرأ هذين البيتين كما قرأتهما أنا ، وأعد تلاوتهما على نفسك ، وانفذ إلى مطاويهما ، وتذوق حلاوتهما ، فستجد أنك حيال لون من الشعر المشع الجميل طالما رغبنا في مثله ، وظللنا حرصنا على أن يسحب الشعراء على ذيله . وسترى عمل البيان في الخروج بخوالج النفس إلى دنيا النور أو دنيا الضجة والصياح كما يقول البدوي ؛ وإنما يعجبني البيت الأول لأن صورة « الضحى بين الجوانح » من أرق الصور وأدناها إلى الخيال وأعلقها بالبال ... ويعجبني البيت الثاني لأن كناية « الضجة والصياح » من أبرع الكنايات في الدلالة على الكشف والإعراب » .

هنا ذوق رائع في فهم الشعر ورفع الغطاء عن أسرار مراميه ، ولكني أختلف مع صاحبه حين يزن هذا البيت بميزان الأداء اللفظي في الوقت الذي أنادي فيه بإقامة الميزان للأداء النفسي في الشعر العربي الحديث ... يقول بدوي الجبل في مجال الحديث عن موقع المرأة من شعور أبي العلاء :

يا ظالم التفاح في وجناتها ... لو ذقت بعض شمائل التفاح !

ويقول روحي فيصل في مجال التحليل والنقد : « فهذا عتاب ناعم يوجهه الشاعر لأبي العلاء فيما تجنى على المرأة من نقد ، وهذا إغراء جميل على محاسن الأنوثة ، وهذا فوق ذلك ، ألفاظ خفاف

ومسرى حلو ، ونغم لطيف ، وشعور — على أنه سطحي وابتدائي وجماهيري — لا يخلو من شيء من الإحساس بفتنة المرأة وسحر الجمال » .

معذرة إذا قلت للأستاذ فيصل : إن هذا الشعور الذي يصفه بأنه سطحي وابتدائي وجماهيري ، هو وحده الذي أكسب بيت بدوي الجبيل ذلك الأداء النفسي الذي أدعو الشعراء إلى أن يطرقوا أبوابه ... إن كلمة « لو ذقت » هي التي أوحت إلى الأستاذ فيصل بهذا الوصف ، ولكنه لو نظر إلى الظلال الفنية التي أسكنها الشاعر بناء التعبير ممثلة في تلك الكلمة ، لتكشف له عمق الحركة النفسية في ذلك الصدق الشعوري النبعث من بساطة الأداء.

ولقد كنت أود أن أطيل القول في مشكلة الأداء النفسي في الشعر ، لولا أن هناك بحثاً يدور حول هذا الموضوع في انتظار العرض على صفحات « الرسالة » في الأيام المقبلة .

ويبدو لك من كتاب الأستاذ روحي فيصل أنه يفضل قصيدة عمر أبي ريشه على غيرها من الشعر الذي ألقي في المهرجان ... وهنا أختلف معه مرة أخرى ما دام هو يضع الشعر أحياناً تحت مجهر الحركة اللفظية ، ومادمت أنا أضعه أبداً تحت مجهر الحركة النفسية. يقول أبو ريشه مثلاً :

أتريد الوجود منتهك الستر ... ريثما أسراره عريانا
وينمض القدام عن قلبه السمح ... ويجريه للعطاش دنانا
لو بلغنا ما نشتهي لرأينا الله ... في نشوة الشعور عيانا

هنا معرض ألفاظ يموج بصور فكرية مادية التلوين مألوفة الأشواء ، كل ما يهزك منها هو هذا الإطار التعبيري الذي يحيط بالصورة ، ويضفي عليها شيئاً من الجمال ، الجمال الذي يطالع الأنظار والأسماع ولا يطالع المشاعر والنفوس ! ولكن الذوق المرهف يعود إلى محراب الأصيل عند روحي فيصل عند ما يهتز طرباً ، وأهتز معه لهذا التصوير النفسي الموفق في هذين البيتين لهدى الجواهري حول قسوة القدر على حياة أبي العلاء :

على الحصير وكوز الماء يرفده ... وذهنه ورفوف تحمل الكتبا
أهوى على كوة في وجهه قمر ... فسد بالظلمة النيرين فاحتجبا

ولمحة أخرى للأستاذ فيصل تبلغ الغاية في الإشراق ، لمحة أضافح عليها بقطة النقد عند هذا الناقد الذواق ... بيت من الشعر في قصيدة عمر أبي ريشه مأخوذ من بيت آخر في شعر شوقي ، ويشهد الله أني وقفت عند هذا البيت ورددته إلى منبعه الأصيل وتحدثت عنه منذ عام إلى بعض إخواننا من الأدباء ، وكان ذلك يوم أن تلقيت من لبنان ذلك الديوان الجديد الذي أخرجته دار مجلة « الأديب » للشاعر أبي ريشه ، والذي حوى إلى جانب ما حوى من شعره قصيدته التي ألقاها في مهرجان أبي العلاء ... يقول شوقي في « مجنون ليلى » :

قد يهون العمر إلا ساعة ... وتهون الأرض إلا موضعا

ويقول عمر أبو ريشه :

قد تجف الحياة إلا وريدا ... ويضيق الوجود إلا مكانا

ويقول روحي فيصل : « ... والتقى شاعرنا مع شوقي في بيت لا أدري كيف أخذه في رابعة النهار » ! ثم يسكت عن الموازنة ، تاركا الحكم للقراء ، حيث يقول : « أي البيتين أجمل وأروع ؟ لا أريد أن أقطع أنا بالجواب الواضح ، فالترجيح متروك لذوقك وفطنتك ، ولفهمك فن البيان وفلسفة اللفظ ، وحسبي الآن أني أثرت شوقك إلى البحث والموازنة ، على ضوء مزاجك وثقافتك وصراحتك » ...

سكت الأستاذ فيصل عن الموازنة ، ولكن هذا السكوت أفصح من كل كلام ... ولو كان في المجال متسع للإفاضة لقدمت أنا إلى القراء تقداً مفصلا في مجال الموازنة بين البيتين ، تقداً ينتهي فيه الحكم الأخير إلى هذه الكلمات :

لقد حاول أبو ريشه أن يقف من شوقي موقف سلم الخاسر من بشار فلم يبلغ شيئاً ... إن الفارق بين بيت أبي ريشه وبيت شوقي ، هو الفارق بين الجبز البلدي والتفاح الأمريكاني ! !

وتبقى بعد هذا كله كلمة أخيرة أوجهها إلى الأستاذ روحي فيصل ، وهي أن كثيراً من النقاد المتذوقين قد خلا منهم الميدان منذ أمد طويل ، وحبذا لو تفرغ للنقد الأدبي ليضم جهده إلى جهود هذه القلة التي تعمل مخلصة على سد هذا الفراغ !

مصرع الكآبة الأمريكية مسز هيرست ميتشل :

أسفت كل الأسف وأنا أطالع في الصحف منذ أيام نبأ مصرع الكاتبة القصصية الأمريكية مسز هيرست ميتشل ...

ومرجريت ميتشل كما لا يخفى على القراء هي مؤلفة تلك القصة الرائعة التي قرأها الملايين وشاهدوها على الشاشة ، وأعني بها قصة « ذهب مع الريح » . إن مصدر أسى على مصرع هذه الكاتبة العظيمة هو أنها استطاعت بقصتها تلك أن تخرج أثراً فنياً لا يمكن أن تقاس إليه آثار كاتبة أخرى مثل جورج صاند ، وأن تقدم الدليل على أن الأدب الأمريكي الحديث على تفاهته لا يخلو من الروائع ، وأن قدرة المرأة على استكناه حقائق الحياة واستكمال أدوات الفن تفوق قدرة الرجال في بعض الأحيان !

ومن دواعي الأسف أيضاً أن تختم حياة هذه الفنانة بمثل هذا الختام الذي يثير الأسى والشجن — لقد كان من الممكن لو لم يقض القدر القاهر بانطفاء الشعلة المتوهجة في الخيال الخلاق ، أن يفيض النبع أكثر مما فاض فيظفر عشاق القصة الطويلة بأثر فني آخر يضاف إلى ذلك الأثر الوحيد الفريد ، وأعني به « ذهب مع الريح » ! مهما يكن من شيء فحسب مرجريت ميتشل أن يدرج اسمها في سجل كتاب القصة الأفذاذ بهذه التحفة اليتيمة التي كانت في حساب الفن كل رصيدها المدخر ، وإنه في ميزان النقد لرصيد عظيم — ومهما يكن من شيء أيضاً ، فإن طريق الخلود لا يسلكه السالكون بكثرة ما قسموا إلى الناس من نتاج القرائح وعمارة الأذهان ، وإنما يسلكونه بقيمة هذا النتاج ومدى تمثيله لصور الحياة وتصويره لخفائق النفوس على اختلاف الميول والأذواق وتفاوت الأجيال والعصور . الكيف لا الكم في ميزان الفن هو وحده أساس الخلود والبقاء ؛ وإلا لما استطاع كاتب مثل بنجامان كونستان أن يأخذ مكانه في صفوف الخالدين بقصة واحدة هي أدولف تلك القصة التي قال فيها بول بورجيه : « إن أدولف لتعد مثلاً أعلى للقصة الذاتية ، ولقد بقيت من كل تلك القصص التي ظهرت في القرن التاسع عشر وهي أحفلها بالحياة ، وأكثرها إنسانية ، وأشدها أسراً للشعور ، ولا توجد قصة أخرى تهزني كما هزتني هذه القصة » — كما قال عنها فرديناند برنتيير : « إن أدولف قصة إنسانية لا يمكن أن ترقى إلى حقيقتها التحليلية قصة أخرى

ينظر بورجيه إلى الفن من ناحية القيم الإنسانية ، وينظر إليه برنتيير من ناحية القيم التحليلية ، وبهذين الجناحين معاً يحلق الفن في أرحب الآفاق ، فإذا ما نال منه الجهد فهبط ليستريح فإن مكانه هناك — في أعالي القمم ! أما الإنسانية في « ذهب مع الريح » فهي في تلك الدقائق الباطنية العميقة المنبثقة من قلب امرأة حائرة بين رجلين : رجل جدير بحبها ومع ذلك فهي لا تحبه ورجل غير جدير بهذا الحب ومع ذلك فهي تحبه ، وهكذا كان حال « سكارليت » وهي موزعة الفكر والشعور بين « أشلي » و « بتلر » ! — وأما التحليل فهو في تلك الصفحات الزاخرة بقصف المدافع ودوي القذائف وأنات الضحايا وزفرات الثكالى وعصف الحديد ، هناك حيث تقدم مرجريت ميتشل للحرب الأهلية الأمريكية صورتين لا مثيل لهما في متاحف الفن ومتاحف التاريخ ! —

بعض الرسائل من عقيلة البرير :

بين يدي وأنا أكتب هذه الكلمات كثير من رسائل القراء في مصر والأقطار العربية — أما الذين يبعثون إليّ برسائلهم معبرين عن حسن الظن وكريم التقدير فلهم خالص الشكر وعاطر التحية ، وأما أصحاب الأسئلة التي يوجهونها إليّ في محيط الأدب والفن فبودي أن أوجه إلى بعضهم رجاء خاصاً ، هو أن يراعوا في أسئلتهم مدى الفائدة التي يمكن أن تعود على القارئ وهم في انتظار الجواب ؛ وذلك بأن تكون الموضوعات التي تثار جديرة بخلق قضية من القضايا الأدبية يهم القراء وضعها على بساط البحث والمناقشة . وإلى الأعداد المقبلة حيث أتناول بالتعقيب بعض هذه الأسئلة ، ولا بأس من تسجيل الشكر في مجال الرد على بعض التحيات —

أنور المعداوي

إعلان

تعلن مصلحة الأموال المقررة فقد القسيمة البيضاء ١١٢ (أموال مقررة) رقم ٤٢٩٢٧٣ مجموعة حرف ب

وقد اعتبرت المصلحة هذه القسيمة لاغية ، فكل من حاول استعمالها يعرض نفسه للمحاكمة الجنائية .

٢٧٣٥

الأدب والفن في أسبوع

سلامة موسى يعارض التعليم الديني :

منذ أسابيع أصدر معالي وزير المعارف قراراً بجعل التعليم الديني مادة إجبارية في المدارس الابتدائية بعد أن كان مادة اختيارية لا يجب تحصيلها لاجتياز الامتحانات ، فأصبح من المواد الأساسية التي لا بد من الامتحان فيها لبلوغ النجاح . وقد كان لهذا القرار موقع حسن في النفوس ، اغتبط له كل من يقدرون أثر الدين في طبع الناشئة بطابعه ، وتشرب نفوسهم روحه ، وتبصيرهم بحقائقه ، ليكونوا مواطنين متعاونين على الخير ، متمسكين بالفضائل ، منهجين نحو المثل العالية .

ولكن في مصر — مع الأسف — مفكراً حرا ، أو هكذا يقولون ، لم يغتبط لذلك ، بل ابتأس له ، واعتبره تخلفاً ورجعية — ذلك المفكر الحر المزعوم هو سلامة موسى ، كتب مقالا في جريدة « النداء » بعنوان « الرجعية تتحدى الزمن » قال فيه : « ونحن نقرأ هذه الأيام عن حركات يراد منها تقييد التعليم في الجامعة ، وبث التعليم الديني في المدارس على الرغم مما سوف يحدثه من خلاف بل شجار بين المسلمين والأقباط » ولست أدري أين قرأ من الحركات التي تقيد التعليم في الجامعة . وقال « ... وعباس العقاد أيضاً يقول بأننا نكون شيوعيين حين نقول بفصل الدين عن الدولة ، فهل فهم نهرو ذلك أيضاً ؟ وهل كان شيوعياً عند ما فصل دولة الهند من ديانتها الهندوكية ؟ إن لنهرو مذهباً في الوطنية وللرجعيين في مصر مذهباً آخر ، فأيهما أصح ؟» ثم قال «واعود فأطلب المقارنة بين السياسة الهنود والسياسة العرب في أقطار الشرق العربي كله ، وأعود فأتساءل : هل نحن المصيبون وهم المخطئون أو العكس ؟ لقد فصلت الهند الدين من الدولة في حين أننا شرعنا في تعليمه بالمدارس وجعلناه مادة أساسية » .

وسلامة موسى ، إذ يقول هذا الكلام ويفكر ذلك « التفكير الحر » إما أن يكون سيء النية نحو الدين الإسلامي متعصباً ضده ، وإما أنه يجهل حقائق هذا الدين فهو يكتب عن جهل ويدس أنفه فيما لا يعنيه ، وقد يجتمع الأمران ولكني أوثر الإغضاء عن الأمر الأول ، فحسبه جزاء عليه ، إن كان ، ما يجد من الغيظ في نفسه ، وإذن لا أجد مناساً من الأمر الثاني وهو جهل مفكرنا الحر حقائق الإسلام .

إن الإسلام ليس دين عزلة ، وإنما هو نظام حياة وتشريع مجتمع ، وتعليمه في المدارس يهدف إلى التهذيب والتثقيف وتطبيق شريعته على مسائل الحياة المختلفة . فهو يختلف عن الديانة الهندوكية ، وأظن أن سلامة يعرف الهندوكية ويعرف ما يبرر فصلها عن الدولة في الهند ، ولكن الذي لا يعرفه — على أحسن الفرضين السابقين — أن الإسلام ليس كالهندوكية في ذلك . فلا محل للمقارنة ، التي بدأها وعاد إليها ، بين سياسة الهنود وسياسة العرب ، وما كان أحراه أن يمسك بزمام « فكره الحر » فلا يدعه يخبط ذلك الخبط العجيب .

ومن جهل سلامة موسى أنه لا يعرف أن المجتمع الإسلامي — عاش قروناً على الجمع بين الدين والدولة ، وأن الأزمان التي أصابه فيها الضعف هي التي كان فيها الساسة يبعدون عن الدين ، وأن المجتمع الإسلامي والدول الإسلامية كانت تحتضن علماء ومفكرين من غير المسلمين وتكرمهم وتحلهم المكان اللائق بهم ، وأن هؤلاء وغيرهم من سائر المخالفين في الدين كانوا يعيشون مع المسلمين عيش المواطنين المتضامنين ، فلم نسمع عن خلاف أو شجار حدث بسبب التعليم الديني بين المسلمين والمسيحيين ، ولم نسمع أن أحداً من المسيحيين خرج على مقتضى الترابط الاجتماعي فآذى أحداً أو أطلق « أفكاراً حرة » كالتي يطلقها سلامة موسى في آخر الزمان ...

وبعد فإن سلامة موسى يقول دائماً ، ويردد مريدوه ، إنه صاحب دعوة جديدة في الكتابة ، تلغي العاطفة وتحكم العقل وتقوم على الاطلاع والبصر بالأمور ، فهل ينطبق هذا على ما كتبه عن تعليم الدين الإسلامي بالمدارس ومقارنته بالهندوكية ؟ لقد بينت أنه في ذلك إما صادراً عن التعصب أو الجهل أو كليهما ، وفي التعصب « عاطفة » الكراهية ، وفي الجهل جهل ... فهل

هذا من مقتضيات تلك الدعوة ؟ أو هي « أفكار حرة والسلام ! » ؟

العصر الزراعي :

تحدثت السيدة تماضر توفيق الذيبة ، إلى محرر مجلة « الاستديو » بعد عودتها من انجلترا حيث كانت تشترك في دراسات إذاعية بمحطة لندن ، فجاء في حديثها عن الإذاعة البريطانية أنه لو حدث أن أذيع هناك حديث يخالف النهج المرسوم لأحاديث الإذاعة فإن المقالات تكتب في نقد هذا التصرف ولوم المشرفين على البرنامج الذين يهتمون بهذا النقد ويعملون على تحقيق ما يوجه إليه .

قرأت ذلك وقارنته بما يحدث عندنا فشعرت بالأسف . هناك الجمهور راض عن برنامج الإذاعة في جملته لأنه مرضٍ فعلا ، فإذا حاد منه شيء عن الجادة دفعه الحماس والغيرة إلى اللوم والنقد وهو يثق أن هناك من يصغى إليه . وهنا اعتاد الناس أن يسمعوا الإذاعة تخبط كما تشاء ، لا منهج لها ولا غاية ، وإنما هو الاعتساف والفوضى وسوء الاختيار ، وما ينشأ من كل ذلك من تقديم بضاعة ليس لأكثرها من فائدة إلا تزجية الوقت وسد الفراغ ، فإذا كتب ناقد أو صاح فيور ذهبت الكتابة والصيحة مع الريح ، ولا تجد لها صدى إلا ما تنشره مجلة الإذاعة من أشباه البلاغات الرسمية التي تقول فيها إن ما تنشره الصحف والمجلات جميعاً عن الإذاعة غير صحيح ...

وعلى ذكر مجلة الاذاعة أذكر أن محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية تصدر مجلة أول ما تقرأ فيها نقد برامج المحطة ، وقد وزعت أبواب البرامج من أدبيات وتمثيليات وموسيقى على كتاب يتتبع كل منهم ما يذاع في بابه ويتناوله بالنقد . أما مجلة إذاعتنا فهي تشبه بعض صحف الأحزاب السياسية المتطرفة في الحزبية ، لا هم لها إلا الدفاع عما في لسان حاله وذم المعارضين بكل الصفات القبيحة .

وقد أفضى كل ذلك إلى أن انصرفت قلوب الناس عن الإذاعة ، وأيأسهم من سلاحها ضياع صيحاتهم مع الهباء ، ولم يسعهم إلا أن يسكتوا مسلمين أمرهم إلى الله ، وقد وطنوا أنفسهم على احتمال الأذى وسماع جانبه صباح مساء ... وأخذوا أنفسهم بالصبر على إسماعهم ما يكرهون

تشكول الأسبوع

□ بعث وزير المعارف بسوريا برقية إلى الأستاذ الكبير ساطع الحصري مستشار اللجنة الثقافية بالجامعة العربية ، يستدعيه فيها إلى دمشق لتنظيم الشئون التعليمية هناك ، وقد لبى الأستاذ الدعوة فسافر يوم الأربعاء الماضي .

والأستاذ الحصري من رجال الفكر الثقافة المبرزين في العالم العربي ، ويمتاز بالإخلاص لفكرته وتحررها من المؤثرات الغريبة عنها ، فهو ربح لكل عمل يسند إليه ، وهو غنيٌ أيما نزل .

□ أعدت اللجنة الثقافية للجامعة العربية برنامج المؤتمر الثقافي الذي يعقد في خريف العام القادم ، وسيكون مدار البحث فيه مسألتين ، الأولى : هل من الخير للدول العربية أن تتيح التعليم الجامعي لكل من يطلبه أو تقتصر على قبول المتفوقين . المسألة الثانية تحديد الأهداف العليا التي ينبغي أن يتجه إليها التعليم في البلاد العربية

□ صرح الدكتور أحمد أمين بك بأن مصر وسوريا شرعتا في العمل بتوجيهات المؤتمر الثقافي الأول التي تتضمن توحيد برامج التعليم بالبلاد العربية في اللغة العربية والجغرافية والتاريخ والتربية الوطنية ، وذلك في البرامج الجديدة للموسم الدراسي القادم .

□ قال الدكتور زكي مبارك في « البلاغ » : لقد سلامة موسى مفكر حر على طريقة الفرود .

□ في برنامج الإذاعة ليوم الأربعاء الماضي ، حديث اقتصادي وصف في البرنامج بأنه « في متناول الفهم » وهذا يدل على أن مراقب البرامج قد فهم الحديث ... وقد لزم التنويه .

□ تلقى زميلنا الأستاذ أنور المعداوي كتاباً من أحد إخواننا في السودان ، يطلب فيه العمل على إلحاق ولده بإحدى المدارس الثانوية في مصر ، وأرفق الكتاب بالمؤهلات الدراسية وشهادة الميلاد . وقد بنى طلبه على ما يشعر به من الموهبة والإعجاب بإنشاء الأستاذ المعداوي ! يجوز له في الرسالة كل أسبوع . ولا يزال الأستاذ أنور مجداً في السعي والبحث عن المدرسة المطلوبة .

□ تفتتح الفرقة المصرية موسمها القادم بالأوبرا الملكية في أوائل أكتوبر المقبل . ولدى الفرقة الآن ثلاث روايات جديدة ، هي « اليوم خمر » لتيمور و « شجرة الدر » لعزيز أباظة و « ألف ليلة وليلة » لبيرم التونسي . ولم يقرر بعد بأيها تبدأ الفرقة

□ في فلم « السيد والمدام » ينادي بائع الصحف : الأهرام والمصري وأخبار اليوم ... ألا يعلم المخرج أن هذه الصحف الثلاث لا تصدر مجتمعة في يوم واحد ؟

□ ينعقد الآن في لندن مؤتمر ثقافي مصري ينظمه مكتب البعثات المصري بلندن ، ويدرس المؤتمر شئون التعليم والثقافة والفنون المتصلة بمصر ، ومما يذكر أن لغة الإلقاء والمخاطبة فيه هي اللغة العربية .

□ جاء من نيويورك أن الأستاذ أحمد فراج مندوب مصر في اللجنة الخاصة بالمعلومات الثقافية عن المناطق التي تتمتع بالاستقلال الذاتي ، عمل على سياسة الفرنسيين في فرض اللغة الفرنسية على سكان شمال إفريقية الذين يتكلمون لغة واحدة هي اللغة العربية التي استخدمها البلاد العربية باعتبارها أداة ثقافة عالية كان لها أثر كبير في الحضارة الإنسانية .

وفرض رأيها عليهم ضريبة ثانية إلى جانب الضريبة المالية السنوية .

والعادة المتأصلة في المصريين أن ينفسوا عن أنفسهم وينتقموا من المستبدين بهم بالفكاهة والتندر عليه ، وما أكثر وأطرف ما نسمع من ذلك من الإذاعة . ولباحث اجتماعي أو تاريخي أن يرجع هذه الظاهرة إلى أن الفترة التي تمر بها الإذاعة الآن تشبه عصور الاستبداد الماضية ، فقد تسمى هذه الفترة بعد ذلك « العصر الإذاعي » نسأل الله الخلاص والسلامة ..

الموضوع في قصتنا :

أقصد بهذه الفنون السينما والغناء والموسيقى ، وأعني بالموضوع فيها فكرة التأليف ، وهي تكاد تكون معدومة في هذه الفترة من زماننا . والملاحظة أن تلك الفنون قد تقدمت وارتقت فيما عدا الموضوع ، وخاصة السينما ، فالتمثيل فيها جيد على العموم وكذلك ما يسمونه (حرفية السينما) وعندنا بعض المخرجين الذين يجيدون فنهم ، وإن كان بعضهم يفرض نفسه على التأليف فيأبى إلا أن يكون مخرجاً ومؤلفاً في آن فلا يكون شيئاً ... أما القصة فهي بيت الداء في السينما المصرية ، وتسمة وتسعون في المائة من قصص الأفلام المصرية لا موضوع لها ، فهي حوادث يتخللها غناء ورقص وإنحلال ، وأجملها ما كانت هذه الأشياء فيه تمتة بعيدة عن السخف ، ومن اللوازم التي تتكرر في معظم الأفلام أن تنزل بالبطلة كارثة ، أو تقع في أزمة ، فتضطر إلى كسب رزقها ، ولا بد أن تكون مطربة ، فتلتجيء إلى ملهى تغني وترقص فيه ، وهنا تجيء الفرصة الذهبية لتقف حوادث القصة ريثما يستمع المشاهدون لبرنامج الملهى الطويل ... وبعد ذلك وعلى مهل يثير الأب على ابنته والأخ على أخته والمحب على حبيبته حيث تعمل في الملهى ، بعد أن يشبع الناس من السماع والنظر والضحك . وهذا كله قد يكون لا بأس به ولكن على أن يخلف شيئاً ، أما أن يكون فارغاً فإنه لا يدل إلا على الفراغ الهائل في ذهن المؤلف .

ومن المضحك أن بعضهم يحاول أن يجعل لقصته موضوعاً « تلبية لرغبة الصحافة والنقاد » وقد قرأت هذه العبارة التي بين الأقواس على الشاشة في تقديم أحد الأفلام ، يحاول المؤلف أو المخرج ذلك فيدس فيها شيئاً من قبيل الوعظ الخلقي أو بعض العبارات الوطنية الجوفاء ، فلا تزيد الفلم إلا بروداً وسماجة ، وذلك للتكلف وإيراد الشيء في غير موضعه . ومما يدعو إلى الضحك والأسف معاً أن يقولوا في الدعاية عن الفلم إنه يعالج مشكلة اجتماعية ، وليس فيه عن المشكلة إلا بعض مناظر عابرة أو كلمات متناثرة لا تبرز ناحية ذات شأن من المشكلة فضلاً عن معالجتها .

ويدعي هؤلاء المؤلفون أنهم ينزلون إلى مستوى الجمهور ، وهذا ليس صحيحاً ، لأنهم ليسوا في مستوى أعلى ينزلون منه ... والنزول إلى مستوى الجماهير لا يكون مفيداً إلا إذا كان مع النازل شيء يقدمه إلى من ينزل إليهم بالاحتيال على إسماعهم إياه .

هذا وفي وزارة الشئون الاجتماعية لجنة للنهوض بالسينما ، لست أدري ماذا تعمل لهذا النهوض إن لم يكن في مقدمة ما تعمله العناية بهذا النقص في الأفلام . وهناك رقابة تمنع ما يخالف الآداب العامة أو يمس الأمن العام ، ولست أدري لماذا لا تكون هناك رقابة تمنع ما يخدش الذوق العام .

أما الغناء والموسيقى والأغاني الغنائية (المنولوجات) فهي كذلك في مجموعها ، ينقصها الفكرة والموضوع ، وقد كانت الأغاني الغنائية تدور حول موضوعات وطنية واجتماعية ولكننا الآن صرنا لا نكاد نسمع من الإذاعة غير « ورد عليك ظل عليك » وأشباه ذلك . وأغاني الأفلام تصلح بصلاحها إن صح العزم على ترقيتها . أما الأغاني التي تقدمها الإذاعة فالله المستعان عليها وعلى الإذاعة .

عباس فضر

ظهر حديثاً

وحي الرسالة

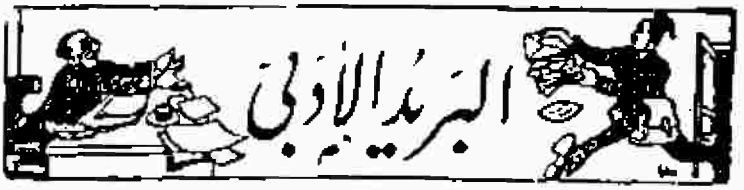

بين الأدب والوطنية والأفلاس :

تفضلتم في عدد (الرسالة) المؤرخ ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٦ بأمنياتكم الودية لي وأنا في طريقي إلى أمريكا ، وكان تلطفكم هذا تعليقاً على رسالتي إليكم التي هي آخرة ما كتبتُ إلى أصدقائي الصحفيين في مصر ، فجليتكم رمزَ مَنْ أقدرهم من رجال المهنة التي لستُ غريباً عنها ، ولذلك أحرص على ألا تشوب مودتنا أية شائبة ، ولذلك يؤسفني — وأنتم تعلمون مبلغَ اعتزازي الشخصي لأدبكم ، ومهما يكن مبلغُ تقديركم لحرية النشر — أن تنشروا ما نشرتم ضدي في عدد الرسالة رقم ٨٤٢ المؤرخ ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ دون أن تقابلوا مودتي المخلصة لكم بكلمة استفهام خاصة ترسلونها إليَّ قبل أن تسمحوا لمحرركم العالي بترديد مطاعن جارحة في أخلاق وفي محتد لسقط رأسي ، اعتماداً على كلمة يذيعها صاحب جريدة اشتهرت بتلفيق الأخبار كما اشتهرت بمجانبتها حرية الرأي ، وقد بلوتُها من قبل تكراراً ، ولا بنبأك بمثل خبير

إن كاتبكم الفاضل على غير علم — على ما يبدو — بقانون الجنسية المصرية ، كما أنه لا يعرف مدلول « الجنسية للزوجة » التي يتمتع بها آلاف الأفاضل بل النبلاء والمتفوقين من اللبنانيين في أمريكا حتى يتمكنوا من الانتفاع بحقوقهم المدنية بهذه البلاد أولئك الذين تمجدهم الحكومة اللبنانية فانها وتفتخر بهم بأعلى صوتها ، وقد صفق لهم حافظ ابراهيم بك وهتف بمديحهم وبالدعوة إلى التشبه بهم ، فهتف المثقفون من المصريين ، بل ومن جميع أقطار الضاد بعده وأمّنوا على مديحه . ولستُ إلاّ أحد القلائل من المصريين الذين جاروهم ، ولن أستفيد من هذا الحق إذا شئتُ إلا بعد استئذان حكومتي المصرية .

وأن ما نشرته (أخبار اليوم) ضدي ليس إلا مثالا من الجهود الطاهر العفيف جزاء خدماتي لوطني الأول في شتى البيئات ابتداء بهيئة الأمم المتحدة وانتهاء بجامعة نيويورك فضلا عن منابر الصحافة الحرة الراقية وفي مقدمتها (الهدى) و (الساعي) و (النيويورك هرالدتريبون) بعد أن حال الرقيب دون نشر آرائي الحرة في مصر ، ولحتها وسداها الدفاع عن مبادئها العليا ومن عاملها وثلاحها وعن حرياتها العامة وعن عرش مصر .

أما ادعاء المحرر في الكرامة الوطنية والقول « بأن مصر لا تستحق هوى عليها إلا لسبب واحد هو أني من أبنائها » ، وإن كانت كفرت عن ذنبها بلفظي وقذف إلى ما وراء البحار » ، فجواب على هذه الفلسفة الباطلة من أساسها أن مصر ذاتها أكرم من أن تمنع ذلك لرجل خدمها طول حياته وبسليل أسرتين عريقتين لم تعرف منها إلا محبة مصر والتضحية لها ، وما تركت مسقط رأس إلا وأنا المحب له والباقي على محبتي . أجل ، من الظلم توجيه هذه التهمة إلى مصر الخالدة التي اتسع صدرها وحلمها لآلاف المرتزقة والوصوليين وشذاذ الآفاق وقليلي الأدب .

بقيت الأوصاف الكريمة التي نعت بها أدبي وشعري ، وهذه من حق ناقدكم التلفظ بها وتدوينها وسأعمل على اطلاع أدباء المهجر عليها حتى لا يقعوا في نفس الغلطة التي وقع فيها زملاء لهم بمصر وفي غير مصر من أقطار الضاد ، فيتجنبوا المغالاة في تقديري وقد يرون حينئذ أني غير أهل لأي تقدير — كذلك سأعمل على اطلاعهم على الآراء النيرة الأخرى ليعرفوا مصادر عبقرية خليل مطران بك وعلى من تتلمذ في مصر ! -

وإني إذ أرجو إليكم التفضل بنشر رسالتي هذه أهدي إليكم تحيتي واحترامي .

المخلص

(نيويورك) أحمد زكي أبو شادي

(الرسالة) التعليق للأستاذ عباس خضر

حول (أبو شادي العجيب) !

قرأت بالرسالة الغراء عدد (٨٤٢) كلمة للأستاذ عباس خضر عن (أبو شادي العجيب) . وقد آلمني حقاً الأسلوب الذي تحدث به الكاتب الفاضل عن رجل كان له في الحياة الأدبية أثر لا ينكر . وإذا تركنا قيمة أبو شادي كشاعر جانباً لأنه يحتاج لنقد دقيق ودراسة كاملة نخرج منها إما للشاعر أو عليه ، فلا يستطيع منصف أن يذهب معه إلى أن أبو شادي (حاول أن يقنع الناس بأنه شاعر فأخفق ولم يفلح إلا في إفساد المذهب التجديدي في الشعر العربي الذي دعا إليه العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري وكان من ورائه خليل مطران (فأولا من المعروف أن أبو شادي بذل مجهوداً صادقاً في خدمة الأدب الحديث وأقل ما ينسب إليه

من فضل أنه جمع جمهور شعراء العربية وحفزهم الشباب منهم بنوع خاص. ومن ينكر نشاط جماعة أبولو التي كان رئيسها شوقي ووكيلها أحمد عرم وسكرتيرها أبو شادي ؟ وأعتقد أنه قبل مجلة أبولو وهي مجلة خاصة بالشعر ودراياته مما لم يسبق له نظير في عالم الصحافة العربية كان القارىء العربي لا يعرف شيئاً عن هذا العدد الكبير من شعراء الشباب بنوع خاص نذكر في طليعتهم الشاعر أبو القاسم الشابي ... فهل أفسد سليقته أبو شادي ؟

وأعجب لقول الكاتب عنه (وقد طهرت منه مصر منذ ذلك الحين ونفض الجو الأدبي الصعداء وشرع بعض الشعراء الذين أفسد سليقتهم الشعرية في إصلاحها) .

ونقطة أخرى تحب أن نصححها لوجه الله والتاريخ -- أظن أن من المعروف أن خليل مطران كان إمام المذاهب التجديدي للشعر العربي الحديث قبل أن يدعو إلى ذلك العقاد والمازني ، وعبارة الكاتب تقول إن خليل مطران كان من رواد المذهب الذي دعوا إليه ... فكيف يستقيم هذا مع التاريخ الأدبي الصحيح ؟

أما الخبر الذي ساق الأستاذ عباس خضر لهذا التجني على أبو شادي وعلى التاريخ الأدبي فلم يحفل بالتحقق منه وما كان يصح أن يسبق مصادر (الأدب والفن في أسبوع) من غير مصادرها و (الهدى) جريدة عربية وإن صدرت في نيويورك ولا يعدم معرفة مهاجر هناك أو قارىء عربي لها هنا ... إن لم تكن تهدي للرسالة .

وهل تأكد الأستاذ من أن ما كتبه أبو شادي كان في غير مشاكل مصر ؟ وقليلون في مصر هم الذين يجحدون الحرية والشجاعة فكتابة عنها ..؟

وهل يعرف الأستاذ أن الدكتور أبو شادي آثر أن ينجو بكرامته حتى لا تمتهن وإن فقد بذلك مصدر عيشه وإن ضاق به وطن عاش من أجله في خدمة الأدب والعلم ... لا مهرجاً في الأسواق السياسية وكان من قبله أبوه أحد أعلام الحركة الوطنية.

عز على الرجل أن يهمل ويقدم عليه من هم دونه .

لقد مضى حق أبو شادي فلم يذكره أحد في محنته بكلمة حق وهاجر فما ذكره أديب ممن كانت له عليهم أياد ...

(دنهور) عبد الفتاح نصار

١ — بواسل ليست من لحن القول :

كتب الأستاذ « أنور المداوي » في بعض تعقيباته يقول : « أنا شديد الإعجاب بأن يكون بين جنودنا البواسل من يقرأ الرسالة ويعشق الأدب » وقد حسب الأستاذ « عبد الجليل السيد حسن » أن جمع باسل على بواسل من لحن القول الذي شاع استعماله في هذه الأيام بين عامة الكتاب فكتب في البريد الأدبي كلمة يسلم بها « السادة الأفاضل الكتاب » صواب هذا اللحن ، قال فيها « وهذا الجمع غريب شاذ ، فلا المعاجم تذكره ، ولا القياس يجوزه ، ولا السماع يؤيده ، فلم لا نقتله ونحيي لفظين رشيقين صحيحين يستمد بهما القرن وما بعد وبعد » .

وهذا قول كما تسوده بعض الصحفيين من جرأة بالغة على اللغة وعلى ما لا يطلون . إن « بواسل » كلمة عربية رشيقة فصيحة صحيحة ، مسموعة عن العرب الخلص منذ الجاهلية الأولى ، قال باعث بن صريم اليشكري يذكر يوم الحاجر :

ورحال غانية عقدت برأسها أسلاً وكان منشراً بشمالها
وعقيلة يسعى عليها قيم متفطرس أبدت عن خلخالها
وكتيبة سفع الوجوه (بواسل) كالأسد حين تذب عن أشبالها
قد قدمت أول عنفوان وعيلها فلفتها بكتيبة أمثالها

وتمر الأبيات في ديوان الحماسة ٢/١١ وقال المحاربي كما روى ابن الشجري في حماسته ص ٧٣

أيارا كبا إما عرضت فبلغن خداشا وعبد الله ما أنا قائل
فلا توعدونا بالحروب فإننا لدى الحرب أسد غادرات (بواسل)

٢ — ذهب توا :

وكما جانب الصواب في إنكار « بواسل » فقد جانبه كذلك في إنكار « ذهب توا » حيث يقول « ومما يقلبه الكتاب عامتهم قلباً ويمسخونه مسخاً ويبلغونه سلخاً استعمالهم توا بمعنى الساعة وحالا فيقولون ذهب توا وذهب لتوه . وهذا المعنى تلفظه المعاجم وتنبذه اللغة ، وما قالته هو : التو بمعنى الفرد فذهب توا أي فرداً أو لم يلوه شيء . والصواب توه » وهذا الذي قاله غير

صحيح أيضاً ، قال الزمخشري في الفائق : « ومنه قولهم سافر توا إذا لم يعرّج في طريقه على ما كان » وفي القاموس : « التو الفرد والخيل ، وبهاء الساعة ، وجاء توا : إذا جاء قاصداً لا يعرجه شيء فإن أقام ببعض الطريق فليس بتو » .

هذا وإني أنصح الأستاذ المعقب بنصيحة خالصة نصحني بها منذ أكثر من عشرة أعوام صديق الراوية الأستاذ « محمود محمد شاكر » ونحن نقرأ حماسة ابن الشجري ، قال لي عند ما قرأت قول باعث اليشكري : وكتيبة سفع الوجوه بواسل : « وهذه كلمة أغفلتها المعاجم فيما أغفلت من أوابد اللغة وشواردها ، ومن ثم أنصح لك ألا تقطع برأي فيما لا تجده في المعاجم إلا بعد تثبت ؛ فإن كثيراً من ألفاظ اللغة موجود في الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي ولم يقيده الرواة في معاجم اللغة ، واقتصروا أيضاً في شرح بعض الكلمات على ما ورد في أبيات بعينها مما رووه ، وفيما لم يروه ولم يشرحوه كثير مما ينبغي أن يشرح مرة ثانية بدلالة هذا الشعر » .

هذه نصيحة صديق الأستاذ « محمود محمد شاكر » وهي نصيحة قيمة تنعم من اتبع هداها من التردي في مهاوي العثرات . وإني لأرجو من المعقبين القديرين أن يلقوا إليها أسماعهم ليجتنبوا القراء متاعب « الجماجم » الفارغة التي يثيرونها كل حين باسم الحفاظ على العربية ، وما بالعربية إلا قلة بصرهم بها ، وذهابهم توا إلى إنكار مالا يعلمون من ألفاظها ، ونضر الله وجه الشافعي إذ يقول :

« ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه » .

السيد أحمد صقر

حول « ترجمة الجامعة العربية » :

الأستاذ نقولا الحداد في هذا المقال قد سما به تفكيره الاصلاحي إلى غاية قصوى فوضع أمامنا سياسة رائعة للجامعة العربية وماينبغي أن تكون عليه في الواقع ، ورسم لنا صورة خيالية أخاذة للجامعة المنتجة التي يراها جديرة بالحياة ...

وفكرة الأستاذ جميلة من حيث هي مجرد فكرة ولكنها مستحيلة من حيث هي منهاج لتنفيذه في الواقع ، فأنا لا يمكنني أن أتصور الدول العربية تنزل عن سلطتها الدفاعية لبرلمان الجامعة ، كما أنه من العبث أن أتخيل الدول العربية تستطيع أن تدفع من ميزانيتها ذلك المبلغ الضخم الذي يقترحه الأستاذ والذي لا يقل مائتي مليون جنيه يجبيها هذا البرلمان من جميع الأمم العربية من غير اعتراض ولا تمنع أو نقاش ، وأخيراً أرى خيالي قاصراً عن إدراك ذلك المطمح البعيد الذي يدرك الدول العربية وقد أسلمت سياستها الخارجية لذلك البرلمان يتولاها وينفذ رأيه بما له من السلطة المسلحة ويفرض أحكامه بقوة السلاح ...

لو فكر الأستاذ الفاضل بعقلية الواقع لأدرك استحالة فكرته لأن ذلك البرلمان الذي يقترحه لا يمكن أن يحقق كل ما نصبو إليه من آمال وأهداف ، فغاية الدول العربية ليست واحدة في جميع النواحي ومصالحها غير متفقة تماماً وظروفها الخارجية ليست موحدة تمام التوحيد ، وعلى ذلك لا يمكن أن تسلم الدول العربية سياستها الخارجية لبرلمان من هذا النوع مكون من أفراد لا يدركون جميعهم مصلحة الدول الممثلة فيه كما أنهم قد يرون رأياً يخالف ما أجمع عليه شعب من الشعوب ويكون في تنفيذه . نكال بهذا الشعب ، والضرر لهم في ذلك لأن القريب من بلد لا يمكنه أن ينظر إلى مصلحته بعين المواطن الذي يدرك مصلحته تمام الإدراك ويبذل من نفسه مخلصاً في سبيل تلك المصلحة ، وعلى فرض أن الغايات توحدت — واعتبرت مصالح الجميع هدفاً واحداً للجميع — فإنه لا يمكن أن تتفق الأساليب في إدراك ذلك الهدف والعمل له . وهذه الحقيقة الواقعة تواجهنا في مجال الدولة الواحدة ممثلة في أحزابها ، فكل حزب له أسلوب خاص بتبعه ، ومن هنا نشأت الخلافات والمشاحنات وانقلبت الأحزاب إلى جبهات مختلفة متعادية تقف كل واحدة أمام الأخرى لتحاربها مخلفة وراءها الأهداف التي قامت من أجلها ...

ولاشك أن ذلك سيحدث في مجال البرلمان الجامع المقترح إذ يقف ممثلو كل دولة للدفاع من وجهة نظرهم التي تخالف وجهات النظر الأخرى فينقلب البرلمان إلى ساحة فوضوية تتكسر فيها المصالح على صخرة الخلاف ، ولقد حدث ذلك الأمر تماماً في الجامعة

صـــــور من الريف

تأليف الأستاذ محمد زكي عبد القادر

بقلم الأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

لقد استحضرت همة الكاتبين بعد أن أهمى إغفال «الريف»، وما فطر عليه من وداعة تبدو على قسماته، والعمل الفني يجب أن يسمق إلى غاية عالية، يخلوده إلى الحياة الملابسة لوجوده.

وليست الغاية في استبهام البيان على الأفهام، وإنما الإبانة المستدنية التي تداخل العواطف، وتعاطف القلوب، وتناجي الآمال هي التي تكشف جوانب الجمال مع صدق التعبير.

واللفظ الشعري في بنائه ومعناه له إيقاع عجيب إذا اتسق مع سواه، لأن موسيقاه لها صدى يتردد في أعماق النفوس، والمصور الفنان في تصويره المقتدر على تدانى مشاهد الحقائق حتى تتجسد في مرأى الأبصار كأنها تحسها بين الألفاظ.

وخصوصية الكاتب تظهر في لمحة ذهنه، وبراعة إلماعه، وروعة تفرده مع رصانة الأداء، وجاذبية العرض، وسلاسة الوحدة التعبيرية! لهذا أردت تقديم «صور من الريف» في الرسالة الزهراء؛ فقد استبنت فيها ما استبانه الإحساس الإنساني على تفاوت درجاته، وإن عمل الفاص عسير إذا أراد الإلمام بالفطر الإنسانية، والتنويه بتناقض الحياة على اختلاف تخالف الأحياء!

وإن تلك الصور الرائعة قد وضحت فيها ناحية جديدة تغيب عن تقدير متناول الأسلوب القصصي لأنها تدور مع الحوادث ثم تعود إلى التلاق مع «وصف الريف» في كل خطرة منها؛ فالقصص لا تورد لذاتها، وإنما يقصد منها تبيان السذاجة الريفية في عواطفها، ومشاعرها، ومعتقداتها وإيمانها، وقناعتها، واستسلامها، ورضاها بالمقدور.

العربية الحالية عندما كانت في أوج عظمتها في أول الحرب الفلسطينية، ذلك أنه رغم أن هدف العرب جميعاً كان تحطيم الدولة اليهودية المزعومة وتطهير فلسطين من أرجاس الصهيونية إلا أنه حدث نفس الخلاف عندما أمر مجلس الأمن بوقف القتال وتنفيذ هدنة مؤقتة، وبذلك انقسم المجلس إلى جهتين إحداهما ترى رفض الهدنة والأخرى تحبذها، ثم كان أن تنازل الفريق الأول عن مبدئهم إشفاقاً منهم على وحدة العرب في ذلك الوقت الحرج وقبلت الهدنة التي كانت الغلطة الكبرى في حرب فلسطين والتي تسبب عنها هزيمة العرب في تلك المعركة.

هذا فضلاً عما نراه من انصياع بعض الدول العربية إلى السياسة البريطانية انصياعاً تاماً، ولا يشك أحد في أن بريطانيا التي تعمل جاهدة على تحطيم وحدة العرب بشتى الوسائل والأساليب يمكنها أن تقف مكتوفة الأيدي إزاء هذا الأمر بالنسبة للدول التي تسيرها على الأقل.

هذه الدول العربية المتخمة بالمآكل والأدواء لا يمكن أن تجتمع في برلين. هذا وإنه لا يمكنني أن أتخيل العراق أو شرق الأردن أو غيرها من الدول العربية تقبل أن تضحي بشبابها وجنودها لتخرج الإنجليز من مصر أو السودان، كما أنني لا أقدر على أن تصور جيشاً مصرياً يستطيع اجتياز الحدود ليذهب إلى تركيا فيحاربها في سبيل مصلحة سوريا التي تنازع تركيا إقليم الإسكندرونة. ومن العبث أخيراً أن تتوهم جيش الجامعة وقد أعلن الحرب على سوريا ولبنان وفيه جنود من أبناء سوريا ولبنان — ليكون بذلك سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب، أليس ذلك المشروع من مصلحة شرق الأردن والعراق والجامعة تعمل لمصلحة الجميع

أرى أن تتجه كل دولة إلى تقوية جيشها وإعداده لتحقيق أهدافها وإدراك استقلالها التام وحريتها الكاملة، وثم تتحقق للدول العربية آمالها وتصبح دولا قوية فتية مستقلة لها كيان محترم غير مزعزع — عندئذ يجوز أن تتجه أنظارنا إلى تنفيذ مشروع كهذا.

السيد علي الشوربجي
كلية الحقوق

يقول المؤلف المقتدر في « السيد » : « هذا الريف صنعه الله ، والله أيضاً هو الذي صنع هؤلاء الريفيين ، والله طهارة ونور وقداسة » .

ثم يسكت الكاتب الرائع تاركا نتيجة هذا « القياس » ... المنطق التعبيري تلمع في خاطر قارئه المأخوذ بروعة بيانه .

ويقول في موضع آخر : « السيد في الريف ذكرى ، وخشوع ، وإيمان مطلق لكنه في المدن قطعة من الفخر والعبث والاستهتار » .

وليس المصور في هذا التعبير متجنياً على المدنية ؛ فالواقع أن جنون المظاهر تلعب ، فالانطلاق على غلواء الأهواء لا يعترف بزمام التؤدة والوقار ! ويدعي المدنيون أن ضيق نطاق القرية يدعو إلى التحفظ وتكلف التجمل لكن الواقع يناقض دعواهم : « فالسيد في الريف نور وجمال له قدسيته وجلاله الذي يستمده من الدين » ، وقد أبدع الوصاف في تلك القولة الموجزة ، لأنه صور بها قوة عاطفة الإيمان لدى القروي الذي يبصر في نهاره وليله دلائل القدرة تتجمع في الآفاق ؛ فتوحي إليه بتقدير القدرة العالية ! وفي قطعة « ورقة النصيب » : « صورة ممتعة حقاً لأنها تجمع إلى قناعة الريف المتواضع الراضي طعم الحياة الإنسانية » .

ويعقد المؤلف بين خيبة المؤمل وحب الأمل فيقول : « لم يربح لكنه سعيد بالأمل ، سعيد في خياله ورجائه ، ولا بد أن يواتيه الرجاء والخيال يوماً » .

* * *

إن في « صور من الريف » نواحي متعددة تصور لك كما قلت حقائق الحياة في نطاق التجربة ، وإنما عمدت إلى « وصف السيد » و « ورقة النصيب » لأنهما يصوران حقيقة النفوس ، ويدلان على تعلقها بما يستحقها أو يدفعها إلى السكينة والدعة .

ولقد تهادت بين أعطاف هذه السور ، أطياف من الحب الريفي القائم على التكتم واعتصار الفؤاد ، من دون الإفصاح عن الانفعال حيث تضغط المشاعر بضغط القسر والإرغام ، ويصور إحساس عذراء القرية حينما تفاتح في الزواج : « سألوني هل تتزوجين ؟ فعقد الحياء لساني ولم أستطع أن أتكلم ، وإنما أجبت بالدموع ، ألموا في السؤال فألححت في البكاء ، ولو كانوا يفهمون أو يريدون أن يفهموا لأدركوا ماذا تعني دموع عذراء » .

إن الأستاذ محمد زكي عبد القادر يحب الاستدلال على ما يصدر بقول غيره توكيداً لرأيه ، ونلمح داعماً حبه الاستشهاد بأقوال الفرنجة ، والأدباء ملهمون يصدرون المعاني الإنسانية المشتركة على تباين الأديان والأقطار ، وقد نقل عبارة عن « واشنجطن أرفنج » في قطعة « على قبور أعزائنا نرمز إلى أن زيارة القبور مدعاة إلى التوبة والندم ، ومع اعترافي بحسن اختياره ورشاقة ترجمته أؤثر الاستدلال بما ورد في لغتنا إيناساً لها ، وتقريباً لموضوع الكتاب الداعي إلى تمجيد البيئة .

هذا ، ولست في إيرادي مؤاخذاً ، وإنما أقصد أن يكون هذا السفر الجليل خالياً من الكلف في وجه البدر .

(بورسعيد) أحمد عبد اللطيف بدر

وزارة الزراعة

تقبل العطاءات بمكتب مدير إدارة المخازن والمشتريات بالدقي لغاية ظهر يوم ١٩٤٩/٩/٢٢ من عملية إنشاء بيارة المصرف بمزرعة الصبحية بالأسكندرية ويمكن الحصول على القوائم مقابل مبلغ ٢٠٠ مليم للواحدة بدون رسم يضاف إليه مبلغ ٣٠ مليما أجرة البريد . ويمكن الاطلاع على الرسم الخاص بها بقسم الهندسة المدنية بديوان الوزارة وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة الثلاثين مليما .

٢٧٧٠

ظهـــرت حـــديثاً

الطبعة الثالثة من المجلد الأول من كتاب

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

اطلبه من دار الرسالة ومن المكتبات المشهورة وثمنه ٤٠ قرشا عدا أجرة البريد

سكك حـــديد الحـــكومة المصرية

عرض الاعـــــــلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية خصصتها لعرض الإعلانات فضلاً من أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر في تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع في السنة وهي قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الإعلان الذي يتصفحه آلاف المسافرين في اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة – بمحطة مصر